حياة عمر بن الخطاب بين الشعر والنثر
دراسة وموازنة بين العمرية : لحافظ إبراهيم عبقرية عمر : لعباس العقاد

بحث مقدم من الباحثة

د/ رضا رمضان أحمد

مدرس الأدب والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

فرع البنات بالمنصورة

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين محمد الهادي الأمين .. وبعد

ما أجمل أن تعطر دنياك بالحديث الطيب ، وتملأ جنبات حياتك برحيق الطيبين الطاهرين أصحاب الطاهر الطيب بن الطاهر الطيب المصطفي الكريم ، وأ صحابه الغر الميامين .

قبس يضيء الدنيا كلها سماء وأرضا نور يأخذ بالأرواح ، والألباب في دنيا يفيض منها عبق الإيمان ونسمات السحر الهادئ في ليلة صيف قمراء .

نجوم تتلألأ في سماء الإيمان بأيهم نقتدي نهتدي ،ودائما أبحث بين النجوم عن هذا النجم الساطع الذي يضيء الدرب لأسير علي هديه، ويلمع فأخطو خطوات أحسبها في طريق الحسنات، ومن الباقيات الصالحات .

إنه عمر بن الخطاب ثاني الراشدين حب رسول الله وصهره ، الفاروق العادل أبو حفص الزكي المزكي من صدقت فيه دعوة النبي الكريم – صلي الله عليه وسلم – " اللهم أيد الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب "([1])

حياته وما حياته؟ فيض بالعطايا دروس وعبر ،قصص ومواقف كلها تكشف عن رجل تربي في مدرسة النبوة ،ونهل من فيض عطائها الزاخر

---

[1]- الحديث في سنن الترمذي كتاب المناقب باب مناقب عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – حديث مرفوع من حديث ابن عمر ط – دار الغرب الإسلامى – بيروت – لبنان

إنه فرد من مجموع فرد له ما يميزه ،وسيرة([1]) حياته ناطقة بهذا التميز والتفرد .

"فإن سيرة الصحابة –رضوان الله عليهم –وتاريخهم من أهم ما يحتاج إليه كل مسلم، ومسلمة في كل عصر وزمان ،فهي تصور لنا حياة هؤلاء الرجال الأبطال الأفذاذ الذين أنار الله تعالى بهم ومن خلالهم نور الإسلام في صدورنا ،والتى لا تزال أمتنا الإسلامية العريقة بهم وبسيرتهم وبتاريخهم صحابة، وخلفاء، وعلماء وقضاة يتلقاه جيل عن جيل يقتبس منهم وعنهم شعلة الإيمان والورع والتقوي وكيف لا يكونون منار الإسلام وهم أهل الحق وسبيل الرشد"[2]

وقد قال الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم – :" فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ"[3]

"فليكن لنا في صحابته –رضوان الله عليهم – أسوة حسنة فنأخذحكمة أبي بكر وحزم عمر ،ولين الحسن ،وثبات الحسين ،وشجاعة حمزة ،وورع معاذ،ويقين العباس "[4]

ودائما في أي عصر، ومصر يبحث الإنسان عن القدوة ،والمثل الأعلي الذي يضيءله جنبات الدرب ليسير على هدى ، وبصيرة وفي حياة ابن

---

[1] - فن السيرة : نوع من الأدب يجمع بين التحري التاريخي والامتاع القصصي ويراد به درس حياة فرد من الأفراد ورسم صورة دقيقة لشخصيته– الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة – أنيس المقدسي – ط- دار العلم للملايين – بيروت ص٥٤٧

[2] ١- الفاروق-عمربن الخطاب-ثانى الخلفاء الراشدين –محمد رضا –ط- دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – ١٤٢٥ – ٢٠٠٥-

[3] -الحديث في سنن الترمذى –كتاب العلم –باب ما جاء في الأخذبالسنة واجتناب البدع-قال أبوعيسى حديث حسن صحيح

[4] -الفاروق عمر بن الخطاب- محمد رضا – ص ٨

الخطاب دروس، وفوائد ما أحوجنا في هذا الوقت من تاريخ الأمة أن نسترشد بها ونقتبس فيضا من نورها ونجعله إماما في العدل ومثلا يحتذى به ،وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر .

ما أحوجنا إلى خليفة في عدل عمر خليفة لايخاف في الله لومة لائم "نريد ممن يطالع حياة عمر – رضي الله عنه – وخلافته ألا يمر على الحوادث وهو يتلوها مرا سريعا دون أن يفكر فيها بل نريد أن يعتبر بالعبر، ويتعظ بالمواعظ، ويقتبس من تلك الأخلاق القوية العظيمة ويعمل بها ما استطاع حتى تعود للشرق سيرته الأولى من عظمة، ومجد وتنتعش الهمم بعد أن فترت ،وتسود الفضائل بعد أن طغت عليها الرذائل،وتتطهرالنفوس بعد أن تلوثت بأردان المطامع واغترت بزخارف الدنيا[1] "

وقد كانت الشخصية العمرية محط أنظار كثير من الشعراء والكتاب فمن الشعراء الذين تناولوا حياة الفاروق شعرا حافظ إبراهيم [2]في القصيدة العمرية ، وأيضا الشاعر على الجارم[3] وسليمان العيسى[1] فى

---

[1] -المرجع السابق– ص ١٣

[2] -حافظ إبراهيم : محمد حافظ بك بن إبراهيم أفندى فهمى ،ولد فى سفينة على شاطئ النيل فى ديروط من أعمال الصعيد .ولد فى ٤ من فبراير ١٨٧٢٠ثم دخل المدرسة الحربية وترقى إلى رتبة ضابط فى الجيش المصرى وأرسل إلى السودان ٠ثم استقال من خدمة الجيش وعكف على المطالعة والكتابة والنظم حتى صار شاعرا كبيرا ٠وفى سنة ١٩١١عين رئيسا للقسم الأدبى فى دار الكتب الخديوية وله م المؤلفات ديوانه والجزء الأول م "ليالى سطيح "وعرب جزئين من البؤساء توفي سنة ١٩٣٢- ديوان حافظ إبراهيم –ط دار صادر بيروت –ط – الأولى – ١٤٠٩- ١٩٨٩

[3] - على الجارم :علي بن صالح عبد الفتاح أديب مصرى من رجال التعليم له شعر ونظم كثيرولد في رشيد وتعلم بالقاهرة – عين وكيلا لدار العلوم توفي بالقاهرة ١٩٤٩- الأعلام – الزركلى – ط- دار العلم للملايين – بيروت –لبنان –ط – ١٦- ج٤

مسرحية الإزارالجريح حتى بلغ استلهام الشعراء له ما يزيد على ثمانين استلهاما[٢]

وفي النثر تناول حياة الفاروق الكثير من الكتاب وإن اختلفت طريقة تناول كل منهم لذات الشخصية واختلفت مناهجهم في الكتابة على أن أشهرهم الأستاذالعقاد[٣] في "عبقرية عمر " الذى صنف ضمن سلسلة فريدة من العبقريات التى اتسمت بطريقة تناول مختلفة من قبل كاتبها .

ومن بين من تناول الشخصية العمرية شعرا حافظ إبراهيم فى القصيدة العمرية ،فقد كان الشاعر صادقا في تعبيره عن تلك الشخصية بكل جوانبها وأبعادها شديدة التأثير في نفس كل من يقرأ أبياتها فإذا بالشخصية العمرية حية ماثلةأمامنا بكل صفاتها وهيئتها ومشاهد حياتها.

*هذاوقدرسمت خطة البحث كالآتى :

مقدمة وفيها الدافع وراءالباحثة لاختيار الموضوع،والدافع وراء كل من حافظ إبراهيم لتأليف وإنشاد هذه القصيدة الشعرية ،وكذاماكان دافعا

---

[١] - سليمان العيسى:ولدعام ١٩٢١في قرية النعيرية غربى مدينة انطاكيه في سوريا من أعماله الشعرية – مع الفجر – أعاصير في السلاسل – ثائر من غفار – استلهام الشخصيات الإسلامية في الشعر العربي الحديث –محمد عبد الله منور - - ط- مطابع الحميضي الرياض –ط- الأولى – ١٤٢٨- ٢٠٠٧ – ص ٣٦

[٢] -الاستلهام معناه : مأخوذ من الإلهام ففي اللغة اللهم الإبتلاع والمقصود باستلهام السشاعر تخزين في ذهن الشاعر ثم استحضار لذلك المخزون وقت لتوظيف – راجع استلهام الشخصيات الإسلامية في الشعر العربي الحديث –محمد عبدالله- ص ١٨

[٣] -العقاد:عباس محمود العقاد ولد ١٣٠٦-١٨٨٩-إمام في الأدب ،مصرى من المكثرين كتابة وتصنيفا مع الإبداع ،أصله من دمياط عمل أحد أجداده في عقادة الحرير ٠ ولد عباس في أسوان وتعلم في مدرستها الابتدائية ،وشغف بالمطالعة ،وكان من أعضاء المجامع العربية الثلاثة – دمشق القاهرة وبغداد توفي ١٣٨٣-١٩٦٤- الأعلام – ج ٣

للأستاذ العقاد لكتابة هذه الترجمة التى أوضح من خلالها جوانب لافتة في الشخصية العمرية .

تحليل نقدى لكل من القصيدة العمرية ،وعبقرية عمر من حيث :

الفصل الأول:الأفكار والمعانى

أولا:الأفكار والمعانى فى العمرية

ثانيا:الأفكار والمعانى في عبقرية عمر .

الفصل الثانى :الألفاظ والأساليب

أولا:تحليل الألفاظ، والأساليب في العمرية

ثانيا: تحليل الألفاظ والأساليب فى عبقرية عمر .

الفصل الثالث :الصور والأخيلة

أولا : تحليل الصور ،والأخيلة في العمرية

ثانيا : تحليل الصور ،والأخيلة فى عبقرية عمر .

الفصل الرابع :الوزن والموسيقى .

أولا :تحليل الوزن ،والموسيقى ،والإيقاع النغمى فى العمرية

ثانيا :تحليل الإيقاع النغمى والموسيقى الداخلية فى عبقرية عمر .

وأخيرا الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث ثم توصياته .

هذاوقد توخيت فى رحلتى مع القصيدة العمرية ،وكذا عبقرية عمرالمنهج الفنى[1] كمااعتمدت فى كثير من الأحيان على التذوق الشخصى ،والمعايشة الخاصة لكلاالعملين الرائعين .

---

[1] -المنهج الفنى:الذى يواجه العمل الأدبى مستظهرا جوهره الخاص ليجلى خصائصه الشعورية والتعبيرية ويتعمق فى دراستها ويحلل عناصره التى يبنى عليها .انظر :– مناهج البحث الأدبى بين القدامى والمحدثين – د- صابر عبد الدايم –د – محمد على داوود-ط- دار النشر الدولى – الرياض- ط- الخامسة – ص٦٠

***وقد كان الدافع وراء استلهام هذه الشخصية من قبل حافظ إبراهيم يشكل "جزءا من الهروب للماضي والاتزار به في مواجهة العدو ،ومحاولة استنهاض الواقع من خلاله ثم من خلال اعتزاز الشاعر بالشخصية العمرية وبالدين الذى صنع هذه الشخصية في مختلف مناحيها الحياتية فالشاعر يرفع شخصية عمر كمثال للحاكم الذى عدل بين رعيته ،وتفانى في العمل من أجلهم وكأن حافظ يجلي بالشخصية العمرية عظمة الحكم الإسلامي وظلم وطغيان الحاكم المستعمر الذى كان يجثم على أجزاء الوطن العربي في عصره "[1] فالشاعر يستلهم الشخصية العمرية ويعبر من خلالها عن واقع يعيشه فتتحول القصيدة لديه إلى ترجمة ،وسيرة ذاتية للشخصية يوظفها عبر تجربته المعاصرة ،أوفي واقعه الحياتي المعاش .

وقد كان حافظ إبراهيم من أوائل الشعراء الذين اتخذوا من الشخصيات الإسلامية سبيلا لتناول حياتهم شعرا فقد كانت بدايات الاستلهام من جانب الشعراء "مع بداية علاقتهم بالتراث العربي الإسلامي ،حين اتجهت حركة إحياء التراث إلي إحياء التراث العربي الإسلامي للإفادة منه وليمثل شعلة مضيئة يمكن الاهتداء بها في هذه النهضة والعمل على بعث ذلك التراث وإحيائه والتعرف عليه ونشره بين أبناء المجتمع العربي المسلم"[2]

ومن جهة أخرى فإن "سرد ملامح حياة عمر تشكل مادة ثرة وغنية تلهب الحماس وتستنهض أبناء الأمة لبعثها من جديد "[3]

---

[1] -استلهام الشخصيات الإسلامية –محمد منور –ص ٣٢٥ -٣٢٦

[2] -المرجع السابق ص ٤٤

[3] -المرجع السابق ص ١٧٤

فإذا بحافظ إبراهيم يؤلف مطولته "العمرية "يسرد فيها حياة الفاروق وأهم المواقف والأحداث التى مرت بها ويعلن صراحة أنه قصد من وراء هذا هدفا تربويا بحتا حيث قال في ختام القصيدة :

هذى مناقبه في عهد دولته.....للشاهدين وللأعقاب أحكيها

في كل واحدة منهن نابلة.....من الطبائع تغذو نفس واعيها

لعل في أمة الإسلام نـــابتة.....تجلو لحاضرها مرآة ماضيها

حتى ترى بعض ماشادت أوائلها .....من الصروح وما عاناه بانيها

وحسبها أنها ترى ما كان من عمر .....حتى ينبه منها عين غافيها [1]

ولعل هذا ما دفع أحد النقاد إلى القول بأن حافظ إمتلك " ثقافة عربية جيدة ، مكنته في بعض الأوقات من استخدام قناعا يعالج من خلاله أو يلمح إلي واقع معيش حيث لا يستطيع المجاهرة بآرائه في هذا الواقع"[2]

ولعل في هذا التفسير أن حافظا آثر أن يكون أول عهد للجمهور بهذه القصيدة أن يقوم بإلقائها بنفسه في مساء الجمعة ٨فبراير ١٩١٨م أثناء الحفل الذي أقيم بمدرج وزارة المعارف ، وامتنع عن أن يدفع بها إلي الصحف لنشرها خوفا من التنكيل به وبقصيدته التي يشير من خلالها إلي واقع يعيشه هو وأبناء أمته "فتذاع القصيدة وما تحمله من أفكار دون أن يحد ث حرج ما للصحف التي قد تفكر في نشرها[3] "وهو

---

[1] -ديوان حافظ ج١- ص ٧٥

[2] -تطور الشعر العربي في العصر الحديث –د –حلمي القاعود –ط- دار النشر الدولى –ط- ١ – ١٤٣١- ٢٠١٠- ص ٨٨

[3] - القصائد الإسلامية الطوال في العصر الحديث – قراءة ونصوص – د حلمي القاعود – ط – دار الاعتصام القاهرة – ص ٧٥

بذلك " رجل يدل بشعره علي زمنه وعلي نفسه [1]" كما كان " مثالا حيا للمصري في عصره ، مثالا لروحه القومية ومزاجه الفكه الباسم "[2]

ومن بين من تعرضوا لتناول حياة الفاروق نثرا الأستاذالعقاد فى " عبقرية عمر" والعقاد عندما يتناول الشخصية العمرية[3] نثرإنما يقصد من وراء ذلك وصف الفاروق عمر " إنسانا عبقريا تفرد بسمات وخصائص وطبائع فذة تتسم بالسمو والكمال وتتسامى علي ما ركب في طبيعة الإنسان العادي من عوامل النقص ، ولحظات الضعف لأن الإنسان الفذ العظيم فيما يرى العقاد تفرد بتلك العبقرية وراثة عن آبائه الذين أجروا في دمائه ، طبائع العظمة وصفات التفوق " [4]

كما أن حديث الكاتب عن الفاروق جهاد يضاف إلي معاركه وغزواته " وإنه لجهاد جديد لعمر بن الخطاب يطيب لنا أن نوجزه في كتاب "[5]

وهو أيضا عندما يتحدث عن أبي حفص إنما يترجم واقعا يعيشه وآمالا معقودة للخلاص من رذائله وأغلاله " آمال كثيرة من آمال محبي

---

[1] -شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضى – عباس العقاد – ط- منشورات المكتبة العصرية – بيروت – ص ١٨

[2] -الأدب العربي المعاصر في مصر – شوقي ضيف – ط – دار المعارف –ط – ١٢- ص١٠٤

[3] -راجع التراجم الغيرية في الأدب العربي الحديث – أ د- محمد أحمد العزب –ط- مطبعة الإيمان
وكذا الترجمة الأدبية لحياة النبي – صلى الله عليه وسلم – بين المنهج التاريخي والمنهج التحليلى –حياة محمد – لهيكل – عبقرية محمد – للعقاد – بحث منشور للباحثة بمجلة كلية الدراسا ت الإسلامية والعربية – بالمنصورة - ٢٠١٠

[4] -الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث – د – يحيى عبد الدايم – ط – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ص ٢٤٣

[5] - عبقرية عمر – عباس العقاد – ط- دار نهضة مصر – ط – ١٤- ص ٥

الخير ودعاة الإصلاح هي في نفس عمر بـــن الخطاب وقائع مفروغ منها ، كأنها وقائع المرئيات المسموعات "[1]

وهو أيضا في حديثه عن ثانى الخلفاء الراشدين لايتحدث عن سرد لمواقف وأحداث حياته أوسيرة ترصد بالمجهر ماحدث له مع الأخرين وإنما يختار حوادث بعينها ومواقف بذاتها تساعد على فهم الشخصية العمرية من منطلق وصفه بالعبقرية ويحاول الكاتب أن يرسم للشخصية العمرية أبعادا خاصة من منظور خاص تتراءى من خلالها شخصية الفاروق، كما كانت نبراسا ،وآية فى صفات العدل ، والرحمة ،والعطف والبأس.

ويرسم له في النهاية صورة مجملة من خلال الحديث عن مشهد النهاية وإسدال ستائر كثيفة وتساؤلات عدة باتت تتردد على الألسنة بعد مقتل الحاكم العادل الذي اتهم في آخر حياته بالظلم مع أنه كان آية فى العدل والإنصاف .

وينتهى إلي القول بأن حياته يمكن أن تعنون بعنوان يدل عليها وهو "أى رجل كان هذا الرجل ؟"وهى كلمة يقولها الناظر فى سيرة عمر كلما وقف من أخبارها موقف

الناقد الذى يبحث عن الخطأفيلقيه حيثما بحث عنه عسيرا جد عسير أى رجل كان هذا الرجل ؟أى عدل كان عدله ؟أى قسطاس كان قسطاسه ؟أى حساب كان حسابه لنفسه وأى سبيل للناقدإلى رجل كان يحاسب نفسه هذا الحساب "[2]

---

[1] -المرجع السابق – ص ١٢٤

[2] - عبقرية عمر – ص ١٦٣

هكذا كان عمر ، وهكذا كانت حياته محط أنظار الشعراء والكتاب والباحثين ولن ينقطع هذا الفيض وتلك الدروس، والعبر كلما جددنا النظر فيها فى أى زمان ومكان .

فهيابنا نجدد النظر فى حياة هذا الرجل الفريد فى صفاته ،وأفعاله من خلال تناول الشاعر حافظ إبراهيم ،والأستاذ العقاد مع اعتبار أن لكل تناوله، فى الأفكار والمعاني ، والألفاظ ،والصور والأخيلة ، والموسيقى والإيقاع . وللشعر بريقه الآخاذوإيقاعاته المؤثرة ،وتناوله السهل المعجب ،وللنثر مضامينه ،وإيحاءاته، ودقته ،وملاحظته وإن كانت الشخصية المتناولة واحدة إلا أن طريقة التناول مختلفة طبقا للقالب الذى وضعت فيه .

(الفصل الأول)
الأفكار والمعانى

*أولا :العمرية من حيث الأفكار والمعانى :

يستهل الشاعر قصيدته ببيان الحفاوة والحب والعشق الذى يكنه للفاروق- رضى الله عنه- فهو لايملك إزاء التعبير عن هذه العواطف الجياشة والمشاعر المستفيضة سوى تلك الكلمات المصفوفة فى الأبيات المزينة بالحب ، والمتوجة بالعشق لهذه الشخصية الفريدة الفذة ،وحسبه وكفاه فخرا أنه يقدمها هدية إلى الفاروق –رضى الله عنه –فعبر عن ذلك قائلا:

حسب القوافى وحسبي حين ألقيها .....أنى إلى ساحة الفاروق أهديها

لاهم ،هب لى بيانا أستعين به.....على قضاء حقوق نام قاضيها

قد نازعتنى نفسى ان أوفيها .....وليس فى طوق مثلى أن يوفيها

فمر سرى المعاني أن يواتيني .....فيها فإني ضعيف الحال واهيها

ويدعو الله –عز وجل- أن يعينه على وفاء الحق لأهله فهو يشعر بعظم المهمة التي أوجبها على نفسه ،وهي مدح الخليفة الراشدعمر بن الخطاب والحديث عنه.

ويجد نفسه أمام هذا التكليف ضعيف الحال واهي العزم إلا أن الحب والإعجاب بهذه الشخصية يدفعه دفعا إلي الحديث عنه وعن أيامه وسيرته الذاخرة بالعبر والمواعظ.

(أ)مقتل عمر

ينتقل الشاعر إلي الحديث عن مقتل عمر وهذا المولى أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة الذي قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ويده الآثمة التي نالت منه – رضي الله عنه – فيدعو عليه أن ينقطع عنه كل خير ونعمة مادامت نعم الله وعطاياه علي عباده جزاء مافعل وما اقترف من إثم ومعصية ، فصور ذلك قائلا :

مولى المغيرة لاجادتك غادية .....من رحمة الله ما جادت غواديها

مزقت منه أديما حشوه همم.....في ذمة الله عاليها وماضيها

طعنت خاصرة الفاروق منتقما .....من الحنيفة في أعلى مجاليها

لم يدر أنه بفعلته هذه إنما مزق جسدا طوي على الهمة العالية ،والقوة ،والجلد إن طعنته تلك كشفت عن سوء طويته ،وحقد نفسه، ونفس هؤلاء الساسةالذين يحاربون الحق في شخصه ،والقوة في علمه ،والحلم في قلبه .

وهو بهذه الفعلة الخبيثة إنما أصاب دولة الإسلام في مقتل وأصبح حالها باك شاك لفقده –رضي الله عنه –

فأصبحت دولة الإسلام حائرة .....تشكو الوجيعة لما مات آسيها

مضى وخلفها كالطود راسخة .....وزان بالعدل والتقوى مغانيها

تنبو المعاول عنها وهى قائمة .....والهادمون كثير في نواحيها

حتى إذا ما تولاها مهدمها .....صاح الزوال بها فاندك عاليها

واها على دولة بالأمس قد ملأت .....جوانب الشرق رغدا من أياديها

كم ظللتها وحاطتها بأجنحة .....عن أعين الدهر قد كانت تواريها

من العناية ريشت قوادمها*[1] .....ومن صميم التقى ريشت خوافيها *

فقد تغير الحال وتبدل ما بين عشية، وضحها فأصبحت الحيرةوالوجيعة سمة دولة الإسلام بعد فقد الفاروق – رضي الله عنه – ولكن عزاءها أنه فارقها وهى كالجبل الراسخ مزينة أركانها بالعدل والتقوى .

أعداء الإسلام دوما يتربصون أعينهم شاخصة يدبرون ويكيدون للنيل من الإسلام والمسلمين .

والملاحظ أن الشاعر بدأ بالحديث عن مقتل عمر وكان من المتوقع أن يبدأ بالحديث عن إسلامه أو مكانته في الجاهلية والإسلام.

أما وقد غير المتوقع فلابد من حكمة وسبب دفعه إلى ذلك .

أظنه إنما أراد أن يسلط الضوء على الفتنة التى أودت بحياة أمير المؤمنين وأن تكون هذه الحادثةأول ما يقع في نفس القارئ أو السامع .

لأنه إنما يرمز إلى هذه الفتنة بتلك التى تحدث في زمانه على دولة الإسلام من تدخل الاحتلال في أمورالبلاد فهو يتخذ من شخصية الفاروق مثالا لدولة الإسلام ومن المؤامرة التى انهت حياته تنبيها لتلك المؤامرة التى تدبر لدولة الإسلام. وليفهم الخديوى وغير الخديوى تلك المكائد، وعليهم أن يحذروا من بطانتهم ومواليهم لأن الخطر كل الخطر من هؤلاء حيث قال :

والله ما غالها قدما وكاد لها .....واجتث دوحتها إلا مواليها

لو أنها في صميم العرب قد بقيت .....لما نعاها على الأيام ناعيها

**- القوادم :عشر ريشات في مقدم الجناح ، وهي كبار الريش – الخوافي صغار الريش – الديوانِ

ياليتهم سمعوا ماقاله عمر .....والروح قد بلغت منه تراقيها

لاتكثروا من مواليكم فإن لهم .....مطامعا بسمات الضعف تخفيها

(ب)إسلام عمر

ثم يتحدث الشاعر عن قصة إسلام الفاروق وما تحقق للإسلام بعد إسلامه من العزة والمنعة ،والغلبة قائلا :

رأيت في الدين آراء موفقة .....فانزل الله قرآنا يزكيها

وكنت أول من قرت بصحبته .....عين الحنيفة واجتازت أمانيها

قد كنت أعدى أعاديها فصرت لها .....بنعمة الله حصنا من أعاديها

خرجت تبغى أذاها في محمدها .....وللحنيفة جباريواليها

فلم تكد تسمع الآيات بالغة .....حتى انكفأت تناوى من يناويها

سمعت سورة طه من مرتلها .....فزلزلت نية قد كنت تنويها

وقلت فيها مقالا لايطاوله .....قول المحب الذى قد بات يطريها

ويوم أسلمت عز الحق وارتفعت .....عن كاهل الدين أثقال يعانيها

وصاح فيه بلال صيحة خشعت .....لها القلوب ولبت أمر باريها

فانت في زمن المختار منجدها .....وأنت في زمن الصديق منجيها

كم استراك رسول الله مغتبطا .....بحكمة لك عند الرأى يلفيها

فالشاعر يوازن بين حالين حال الإسلام والمسلمين قبل إسلام عمر ،وحالهما بعد إسلامه ،فقد كان المسلمون يخافون بطش الكفار، وبعد إسلام عمر قويت شوكة المسلمين وأصبح ضمن فريقهم يخاف المشركون بطشه وبأسه ويفكرون ألف مرة قبل أن يقدمواعلى فعل يؤذون به المسلمين .

(ج)عمر وبيعة الصديق

ثم يذكر الشاعر أحد المواقف التى تحسب للفاروق فقد وحد كلمة المسلمين بعد وفاة الرسول –صلى الله عليه وسلم – ودفع بالمسلمين دفعا إلى توحيد الصف، والإجماع على مبايعة الصديق – رضى الله عنه – فأنشد حافظ مصورا :

٣٧-٣٠-وموقف لك بعد المصطفى افترقت ... فيه الصحابة لما غاب هاديها

٣٨ -٣١ - بايعت فيه أبا بكر فبايعه .....على الخلافة قاصيها ودانيها

٣٩ -٣٢ - وأطفئت فتنة لولاك لاستعرت .....بين القبائل وانسابت أفاعيها

٣٠ -٣٣ - بات النبي مسجى في حظيرته .....وأنت مستعر الأحشاء داميها

٤٠ -٤٠ - فلسقيفة يوم أنت صاحبه .....فيه الخلافة قد شيدت أواسيها

٤١ -٤١ - مدت لها الأوس كفا كى تناولها .....فمدت الخزرج الأيدى تباريها

٤٢ -٤٢ - وظن كل فريق أن صاحبهم .....أولى وأتى الشحناء آتيها

٤٣ -٤٣ - حتى انبريت لهم فارتد طامعهم .....عنها وأخي أبو بكر أواخيها

يلاحظ هنا خلط الشاعر في عرض الفكرة التى يتحدث عنها حيث إنه تحدث أولا عن مبايعة عمر للصديق – رضى الله عنهما – وصدى هذه البيعة في توحيد الصف المسلم ،ثم يقطع الحديث ويتجه إلى حديث غيره سابق عليه زمنيا

فوصف ماكان من أمر الفاروق بعد سماعه نبأوفاة النبي – صلى الله عليه وسلم – فصور المشهد بقوله :

٣١ -٣٤ - تهيم بين عجيج الناس في دهش ....من نباة قد سرى في الأرض ساريها

٣٢ -٣٥ - تصيح :من قال نفس المصطفى قبضت ...علوت هامته بالسيف أبريها

٣٣ -٣٦ - أنساك حبك طه أنه بشر .....يجري عليه شؤون الكون مجريها

٣٤ -٣٧ - وأنه وارد لابدمورده .....من المنية لايعفيه ساقيها

٣٥ -٣٨ - نسيت في حق طه آية نزلت .....وقد يذكر بالآيات ناسيها

٣٦ -٣٩ - ذهلت يوما فكانت فتنة عمم.....وثاب رشدك فانجابت دياجيها

فيصف المشهد ويحكي ما كان من الفاروق ثم يعود إلى ما بدأ به من الحديث عن البيعة وكيف استطاع عمر أن يقتل الفتنة في مهدها .

مما يجعلنا في حاجة إلى إعادة ترتيب نسق الأبيات من جديد فنضم الحدث وما يدل عليه من الأبيات حتى تكتمل الصورة ويتضح المشهد مكتملا .

وقد أحدث هذا الخلل عيبا في الوحدة العضوية[١] للأبيات ،والأوفق أن يكو ن الترتيب كما هو مبين بالترقيم السابق .

(د)عمر وعلى

وكأنى بالحديث عن الصديق ،والبيعة استتبع الحديث عن أشخاص آخرين لهم صلة بالفاروق فقد أحس عمر أن عليا يرفض مبايعة الصديق فهدده بحرق بيته وفيه فاطمة ابنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم – حرصا منه على دفع الفتنة وموتها فى مهدها قبل أن تعصف بالمسلمين وتكسر شوكتهم[٢] .

وقولة لعلي قالها عمر .....أكرم بسامعها أعظم بملقيها

---

[١] -الوحدة العضوية في القصيدة تعني عضوية ذات بنية حية تنمو حتى نهايتها - النقد الأدبي الحديث – بداياته وتطوراته – د- حلمي القاعود – ط- دار النشر الدولي ط ١- ٢٠٠٦- ص ١٧٩

[٢] انظر :مصنف ابن أبى شيبة الكوفى – كتاب المغازى – ما جاء فى خلافة أبى بكر وسيرته – ج- ٨ –ص ٥٧٢ط-الرشد تحقيق حمد بن عبدالله الجمعة .

حرقت دارك لا أبقى عليك بها .....إن لم تبايع وبنت المصطفى فيها

ما كان غير أبي حفص يفوه بها ..... أمام فارس عدنان وحاميها

(هـ)عمر وجبلة بن الأيهم

ثم يتحدث عن موقف عمرمن جبلة بن الأيهم[1] هذا الرجل الذي أسقطه غروره حين لطم أعرابيا فهشم أنفه وهو يطوف بالبيت العتيق ليس لشيء سوى أنه وطيء ثوبه فشكاه

الأعرابي إلى الفاروق ،فأمر أن يقتص منه ورفض جبلة ذلك ،وهرب إلى القسطنطينية وارتدعن الإسلام فقال حافظ منشدا :

كم خفت في الله مضعوفا دعاك به .....وكم أخفت قويا ينثني تيها

وفي حديث فتى غسان موعظة .....لكل ذى نعرة يأبى تناسيها

فما القوى قويا رغم عزته .....عند الخصومة والفاروق قاضيها

وما الضعيف ضعيفا بعد حجته .....وإن تخاصم واليها وراعيها

الحادثة من دلائل عدل الفاروق الذي لايفرق بين أفراد المجتمع ، ولايعترف بالطبقية ،ويطبق مبدأ العدل والمساوة بين أفراد الرعية .

(و)الفاروق مع أبى سفيان

وللفاروق موقف يسجله التاريخ مع أبي سفيان شاهد على أن الجميع أمام قانون العدل واحد ولا مجال لقرابة، أو محاباة فشابهت نفس الفاروق قمم الجبال الرواسي فصور الشاعر هذا بقوله :

---

[1] - جبلة بن الأيهم الغساني من آل جفنة آخر ملوك الغساسنة عاش زمنا في الجاهلية وقاتل المسلمين في دومة الجندل ارتد عن الإسلام بعد رجوعه إلي القسطنطينية – الأعلام ج ٢ص ٢٤

وما أقلت أبا سفيان حين طوى .....عنك الهدية معتزا بمهديها

لم يغن عنه وقد حاسبته حسب .....ولا معاوية بالشام يجبيها

قيدت منه جليلا شاب مفرقه .....في عزة ليس من عز يدانيها

قد نوهوا باسمه في جاهليته .....وزاده سيد الكونين تنويها

في فتح مكة كانت داره حرما .....قد أمن الله بعد البيت غاشيها

فلا الحسابة في حق يجاملها .....ولا القرابة في بطل يحابيها

وتلك قوة نفس لو أراد بها .....شم الجبال لما قرت رواسيها

قتكتمل صورة العدل مع خاصة الخاصة لأن تنفيذه فيهم أصعب ولا يقدر على ذلك إلا القليل .

(ز)عمر وخالد بن الوليد

يتناول الشاعر صورة أخرى لها أبعاد كثيرة ،ومدلولات أعمق تجمع بين الفاروق ،وخالد بن الوليد حيث ساحة القتال والفتوحات على أشدها يتقدم خالد مع جيشه صوب الشام وانتصاراته تتوالى فيأتيه نبأوفاة أبي بكر الصديق ، وخبر عزله عن

ولاية الجيش ويكتم عنه أبو عبيدة بن الجراح هذا الخبر حتى تم له النصر على أعدائه ،وما عزله الفاروق إلا خوفا من أن يفتن الناس به لكثرةانتصاراته ويمن طالعه ،وشجاعته منقطعة النظير كما أقر بذلك الفاروق في رواية قال فيها :"وما عزلتك لريبة فيك ، ولكن افتتن الناس بك ، فخفت أن تفتتن بالناس "

سل قاهر الفرس والرومان هل شفعت .....له الفتوح وهل أغنى تواليها

غزى فأبلى وخيل الله قد عقدت .....باليمن والنصر والبشرى نواصيها

عشرون موقعة مرت محجلة .....من بعد عشربنان الفتح تحصيها

أتاه أمر أبي حفص فقبله.....كما يقبل آى الله تاليها

ويستمر حافظ في حديثه عن خالد بن الوليد وكيف امتثل لأمر أمير المؤمنين وهو في قمة مجده ،وكيف خضع لحبشي يقوده إشارة إلى أبي عبيدة بن الجراح الذي تولى إمرة الجيش من بعده فحقق قوله تعالى(يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعواالرسول وأولى الأمر منكم)[1]

ويترك الشاعر لنفسه العنان فيصف خالدا وقبوله لأمر الفاروق ويبدأ ويعيد في الحدث وكأنى بالشاعر أضحى مبهورا بخالد بن الوليد وموقفه أكثر من تقديره لموقف عمرفأكثر من مدح خالد حتى طغى الحديث عنه على الحديث عن البطل الحقيقي للقصيدة .

ولعل اقتناعه بموقف خالد بن الوليد،وتقديره لصنيعه ،واعتبار عزل عمر له هفوة من هفوات الفاروق حيث قال :

هبوه أخطأ في تأويل مقصده .....وأنها سقطة في عين ناعيها

فلن تعيب حصيف الرأي زلته.....حتى يعيب سيوف الهند نابيها

(ح)عمر وعمرو بن العاص

ولا يقتصر مشهد تحقيق العدل بين الرعية على القواد فقط بل يتعداه إلى الولاة ،والعمال وهذا ما حدث مع عمرو بن العاص والى الفاروق على مصر عندما نمى إلى علم الفاروق أن عمرا أصبح له متاع ورقيق وآنية ،وحيوان فبعث إليه يسأله من أين لك هذا ؟

فأجابه عمرو :أن أرضنا أرض مزرع ومتجر ،فنحن نصيب فضلا عما نحتاج إليه لنفقتنا ....فكتب إليه الفاروق :إنى قد خبرت من عمال السوء ما كفى ،وكتابك إلي كتاب من أقلقه الأخذ بالحق ،وقد سئت بك

[1] سورة النساء آية ٥٩

ظنا وقد وجهت إليك محمد بن مسلمة[1]ليقاسمك مالك ،فأطلعه عليه وأخرج إليه ما يطالبك به ،وأعفه من الغلظة عليك ،فلم يسع عمرو بن العاص –على دهائه – وعلو مكانته وبعده عن أمير المؤمنين إلا الخضوع لما أمره به فصور الشاعر هذا في قوله :

شاطرت داهية السوا س ثروته .....ولم تخفه بمصر وهو واليها

وأنت تعرف عمرا في حواضرها .....ولست تجهل عمرا في بواديها

ولم تنبت الأرض كابن العاص داهية.....يرمي الخطوب برأى ليس يخطيها

(ط)عمر وابنه عبد الله

وإذا كان تحقيق العدل بين الرعية يتطلب حسم الأمر مع القواد ، والعمال ، وعلية القوم ، وسادتهم فإن تحقيقه في أهل البيت أو جب ،وأمكن وربما أصعب وأشق.

وأصدق الأدلة علي كبح جماح النفس ،وتطويعها إلي ما يرضي باريها وخالقها .

هذا ماحدث عندما مر الفاروق بنوق قد بدت عليها آثار النعمة فسأل عن صاحبها فقيل له : صاحبها عبدالله بن عمر بن الخطاب . فساقها إلي بيت المال ظنا منه أن ثروة ابنه لا تفي لها ، وأنه لولا جاهه بين الناس ماقدر علي إطعامها .. هكذا يكون العدل والمساواة بين قريب ،وغير قريب في الحكم ،و القانون .

[1] - محمد بن مسلمة الأوسي الأنصاري أبو عبد الرحمن صحابي من الأمراء من أهل المدينة شهد بدرا وما بعدهامات بالمدينة ٤٣ هجرية – الأعلام ج ٧

وما كان ذلك لعمر إلا لأنه تربي في بيت النبوة، وسمع ماقاله – صلي الله عليه وسلم – "..... لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها "[1] فقال مبينا ذلك :

وما وقى ابنك عبدالله أينقه ..... لما اطلعت عليها في مراعيها

ينها في حماه وهي سارحة ..... مثل القصور قد اهتزت أعاليها

فقلت :ما كان عبد الله يشبعها ..... لو لم يكن ولدي أو كان يرويها

قد استعان بجاهي في تجارته ..... وبات باسم أبي حفص ينميها

ردوا النياق لبيت المال إن له ..... حق الزيادة فيها قبل شاريها

ولا يألو الشاعر جهدا أن يتخذ من هذه الحادثة سبيلا للحديث عن الاشتراكية التي يدعيها من يدعي الحداثة والتطور ، فعمر بصنيعه هذا يطبق مبدأ الاشتراكية والعدالة الاجتماعية التى يحاول دعاتها نسبتها إلى أنفسهم .فهذا الفاروق يطبقها قبل معرفتهم بها بأربعة عشر قرنا من الزمان .

فقال مؤكدا :

ما الاشتراكية المنشود جانبها .....بين الورى غير مبنى من مبانيها

فإن نكن نحن أهليها ومنبتها .....فإنهم عرفوها قبل أهليها

(ى)عمر ونصر بن حجاج

ومن عدل الخليفة أن يهتم بأمر الرعية فيسعى إلى ما يصلحها ،ويبعد عما يهلكها .

فقد كان الفاروق خير من يمثل ذلك فكان يتفقد أحوال رعيته ويهتم بأمر المسلمين ؛لأنه منهم ،ومستخلف عليهم يتضح ذلك جليا عندما مر

---

[1] - الحديث في صحيح البخاري –كتاب الحدود – باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان – ط- دار ابن كثير – د مشق -١٤١٤ -١٩٩٣

ذات ليلة في المدينة فسمع امرأة تتحدث عن نصر بن حجاج [1] وما كان يتمتع به من بهاء وحسن يأسر قلب النساء ،فطلب الفاروق حضوره بين يديه، وأمر بحلق شعره الذي يتدلى على وجهه،وأسكنه البصرة ،وحرم عليه المكث في المدينة مادام واليا عليها .

جنى الجمال على نصر ففربه .....عن المدينة تبكيه ويبكيها

وكم رمت قسمات الحسن صاحبها .....وأتعبت قصبات السبق حاويها

وزهرة الروض لولا حسن رونقها .....لما استطالت عليها كف جانيها

كانت له لمة فينانة عجب.....على جبين خليق أن يحليها

وكان أنى مشى مالت عقائلها .....شوقاإليه وكاد الحسن يسبيها

هتفن تحت الليالي باسمه شغفا..... ....وللحسان تمن في لياليها

جززت لمته لما أتيت به ..... ففاق عاطلها في الحسن حليها

فصحت فيه تحول عن مدينتهم..... فإنها فتنة أخشي تماديها

وفتنة الحسن إن هبت نوافحها.*..... كفتنة الحرب إن هبت سوافيها*

(ك)عمر ورسول كسرى

ويتوج صورة العدل هذا الجانب المشرق في شخص الفاروق ،وتلك القصة الذائعة التي يشهد فيها بالعدل للفاروق واحدا من أعدائه وأعداء الإسلام ، ويشهد شهادة حق في أمير المؤمنين تتناقلها الألسنة وتعيها العقول وتحفظها القلوب ، وتذكر بذكره- رضي الله عنه- فهذا رسول كسري يبحث عن خليفة المسلمين فيجده نائما على الرمال أمام البيت جاعلا منها وسادة وليس حوله من مظاهر الدنيا ما يميزه عن غيره

[1] - نصر بن حجاج بن علاط من أهل المدينة كان وسيما لا يعرف له ذكر سوى هذه الحادثة – الأعلام – ج ٨

فعندما رأى رسول كسرى ذلك دهش وقال قولته المشهورة :عدلت ياعمر فأمنت فنمت .

هذه الحادثة الشهيرة تتوج صفة العدل في الفاروق وهى من أخص صفاته وأعرفها في نفسه ومن أجلها لقبه الرسول الكريم بالفاروق .

وراع صاحب كسرى أن رأى عمرا .....بين الرعية عطلا وهو راعيها

وعهده بملوك الفرس أن لها .....سورا من الجند والأحراس يحميها

رآه مستغرقا في نومه فرأى .....فيه الجلالة في أسمى معانيها

فوق الثرى تحت ظل الدوح مشتملا .....ببردة كاد طول العهد يبليها

فهان في عينه ما كان يكبره.....من الأكاسر والدنيا بأيديها

وقال قولة حق أصبحت مثلا .....وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها

أمنت لما أقمت العدل بينهم .....فنمت نوم قرير العين هانيها

هكذا كان عمر الفاروق صدق فيه ما وصفه به الرسول – صلى الله عليه وسلم – وتلك كانت دلائل صفة العدل فيه ،بمشاهدها وصورها عرضها الشاعر معرض حق وصدق بين جوانبها ، ومعالمها استغرق الحديث عنها أكثر من نصف أبيات القصيدة فهى أظهر ما يميزالفاروق ،وأعظم ما في سيرته .

كأن الشاعر يشير من طرف خفي إلى أن صلاح هذه الأمة وبعثها لن يكون إلا بتحرى العدل في حكامها فإن صلاح الحاكم يصلح الرعية وبه قوامها وهدايتها .

(ل)عمر والشورى

وفي الفاروق صفات أخرى لاتقل أهمية عن صفة العدل وبها تكتمل الشخصية العمرية عبرعنها الشاعر، وإن لم تكن بنفس الإحساس ،والقدر الذي عبربه عن

صفة العدل. فيتحدث الشاعر عن إيمان الفاروق بتطبيق مبدأ الشورى بين الرعية وكيف كان احترامه للآخرين مفندا ماستقر في نفوس كثير من الحكام والولاة من الاستبداد بالرأي والدكتاتورية الطاغية التى تجعل من الحاكم منفردا برأيه ، وتفكيره ،وسلوكه ،وتصرفاته دون اعتبار بالرعية ،ودون النظر إلى ما تبتغيه وما تريده مخالفين بذلك شرع الله الحكيم حيث قال :"وأمرهم شورى بينهم" [1]

فقال الشاعر مصورا تحقيق تلك الصفة فيه :

يارافعا راية الشورى وحارسها .....جزاك ربك خيرا عن محبيها

لم يلهك النزع عن تأييد دولتها .....وللمنية آلام تعانيها

ما أعظم الحكم بالشورى في أشد وأقسى لحظات الحياة .يطعن الفاروق طعنة غدر تزهق معها روحه ويصر –على ما هو فيه – أن يؤسسس دولة الشورى فيدعو المقداد بن الأسود ويوصيه وصية واجبة ليستقيم الأمر من بعده بين المسلمين ،ويقر بأن المشاورة بين رؤوس القوم هى أساس الاختيار فيقول للمقداد:

إذا وضعتموني في حفرتى فأدخل عليا وعثمان ،والزبير ،وسعدا ،وعبد الرحمن بن عوف ،وطلحة إن قدم وأحضر عبد الله بن عمر ولا شئ له من الأمر ،وقم على رؤوسهم ،فإن اجتمع خمسة وفرضوا رجلا وأبى واحد فاضرب رأسه بالسيف ،وإن اتفق الأربعة فرفضوا رجلا منهم وأبى اثنان فاضرب رأسيهما ،فإن رضى ثلاثة رجلاوثلاثة رجلا منهم فحكمو ا عبد الله بن عمر فأى الفريقين حكم له فليختاروا رجلا منهم

[1] -سورة الشورى آية ٣٨

،فإن لم يرضوا بحكم عبد الله فكونوا مع الذين منهم عبد الرحمن بن عوف ،واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس.[1]

يختار الشاعر هذا الموقف فيتحدث عنه في قصيدته ؛لأنه الآكد والأتم في تطبيق مبدأ الشورى :

لم أنس أمرك للمقداد يحمله .....إلى الجماعة إنذارا وتنبيها

إن ظل بعد ثلاث رأيها شعبا .....فجرد السيف واضرب في هواديها

فاعجب لقوة نفس ليس يصرفها .....طعم المنية مرا عن مراميها

درى عميد بنى الشورى بموضعها .....فعاش ما عاش يبنيها ويعليها

وما استبد برأى في حكومته .....إن الحكومة تغرى مستبديها

رأى الجماعة لاتشقى البلاد به .....رغم الخلاف ورأى الفرد يشقيها

(م)عمر الزاهد

حاكم المسلمين لابد فيه من صفات الزهد ،والرحمة ،والورع ،والهيبة ،وكلها –بإذن الله – موصوف بها الفاروق فقد رفض الثياب المزركشة ،وامتنع عن ركوب دابة تصيبه بالخـــيلاء ،والكبر وصاح في الناس قائلا :

فصحت يا قوم كاد الزهو يقتلنى .....وداخلتنى حال لست أدريها

وكاد يصبو إلى دنياكم عمر .....ويرتضى بيع باقيه بفانيها

ردوا ركابى فلا أبغى به بدلا .....ردوا ثيابى فحسبى اليوم باليها

هكذا كان عمر صورة للزهد ،وعدم الانخداع بمظاهر الدنيا وزينتها؛ لأنه يطمع فيما هو أكثر ينظر إلى حياة الخلد بكل متاعها ،وثوابها العظيم .

---

[1] - الديوان –ص٧٠

كما تجسدت فيه – رضى الله عنه – الرحمة ،والاحساس بآلام الآخرين فيتعسس ليلا، ويجد تلك المرأة توقد نارا يعلوها قدر فيه ماء ينظر إليه صغارها ،والجوع يقتلهم وعندما يعلم ذلك يحضر لهم من بيت المال ما يقوم هو بطبخه لهم خشية من نار الأخرة وجحيمها .

ومن رآه أمام القدر منبطحا .....والنار تأخذ منه وهو يذكيها

وقد تخلل في أثناء لحيته .....منها الدخان وفوه غاب في فيها

رأى هناك أمير المؤمنين على.....حال تروع – لعمر الله – رائيها

يسقبل النار خوف النار في غده .....والعين من خشية سالت مآقيها

ويقسم الطعام بينه، وبين القوم في حال القحط ،والجدب فيدرك الجميع أن طعام الخليفة من جنس طعامهم .

إن جاع في شدة قوم شركتهم .....في الجوع أو تنجلي عنها غواشيها

جوع الخليفة والدنيا بقبضته .....في الزهد منزلة سبحان موليها

كذا أخلاقه كانت وما عهدت .....بعد النبوة أخلاق تحاكيها

(ن)مثال من هيبته

وللفاروق نصيب كبير من صفة القوة فقد تحقق فيه قوله تعالى"أشداء على الكفار رحماء بينهم " [1]

في الجاهلية والإسلام هيبته .....تثني الخطوب فلا تعد وعواديها

في طى شدته أسرار مرحمة .....للعالمين ولكن ليس يفشيها

وبين جنبيه في أوفى صرامته .....فؤاد والدة ترعى زراريها

[1] سورة الفتح آية ٢٩

وله مع تلك الهيبة ألف حكاية ،وقصة أبرزها مع تلك المرأة التى فر شيطانها لما رأت عمر ،وكانت تضرب بالدف فرحا بعودة المصطفى من ‘إحدى غزواته منتصرا :

واستأذنت ومشت بالدف واندفعت .....تشجى بألحانها ما شاء مشجيها

والمصطفى وأبو بكر بجانبه .....لاينكران عليها من أغانيها

حتى إذا لاح من بعد لها عمر .....خارت قواها وكاد الخوف يرديها

فقال مهبط وحى الله مبتسما .....وفي ابتسامته معنى يواسيها

قد فر شيطانها لما رأى عمرا .....إن الشياطين تخشى بأس مخزيها

(س)رجوعه إلى الحق

ومع ورعته ،وهيبته ،وتقواه تراه يرجع إلى الحق إذا لزمته الحجة ؛لأن نفسه مطوية على الإيمان ،والبعد عن الخيلاء، والكبر .

فذات يوم رأى فتية يشربون الخمر فأراد إقامة الحدعليهم فإذا بهم يأخذون عليه عدة أمور منها أنه دخل عليهم بلا استئذان ،و تجسس عليهم وهذا مانهى الله عنه فرجع عنهم بعد أن لزمته حجتهم وفي هذا يقول الشاعر :

وفتية ولعوا بالراح فانتبذوا..... لهم مكانا وجدوا في تعاطيها

قالوا :مكانك قد جئنا بواحدة .....وجئتنا بثلاث لاتباليها

فأت البيوت من الأبواب ياعمر .....فقد يزن من الحيطان آتيها

واستأذن الناس أن تغشى بيوتهم.....ولا تلم بدار أو تحييها

ولاتجسس فهذى الآى قد نزلت .....بالنهى عنه فلم تذكرنواهيها

كما حارب الفاروق البدع ،وقطع أسبابها عندما أمر بقطع شجرة الرضوان بسبب طواف الناس حولها ،فهو راع ،ومسئول عن رعيته :

وسرحة في سماء السرح قد رفعت .....ببيعة المصطفى من رأسها تيها

أزلتها حين غالوا في الطواف بها .....وكان تطوافهم للدين تشويها

وفي النهاية يفصح الشاعر عن الدافع الذي كان من أجله هذه القصيدة حيث قال :

هذي مناقبه في عهد دولته .....للشاهدين وللأعقاب أحكيها

في كل واحدة منهن نابلة .....من الطبائع تغدو نفس واعيها

لعل في أمة الإسلام نابتة .....تجلو لحاضرها مرآة ماضيها

حتى ترى بعض ما شادت أوائلها .....من الصروح وما عاناه بانيها

وحسبها أن ترى ما كان من عمر .....حتى ينبه منها عين غافيها

**ثانيا:عبقرية عمر من حيث الأفكار والمعانى:

يتناول الأستاذ العقاد الشخصية العمرية من خلال عدة جوانب يحصرها في ذكر أفكار ،ونقاط، وعناصر متتالية يحاول من خلالها تغطية شاملة للشحصية العمرية يبدأها مرتباً كالتالي :

١- عبقري ٢ - رجل ممتاز ٣ - صفاته ٤ - مفـــــتاح شخصيته ٥ - إسلامه ٦ - عمر و الدولة الإسلامية ٧- عمر و الحكومة العصرية ٨- عمر و النبي ٩- عمر و الصحابة ١٠- ثقافـــة عمر ١١- عمر في بيته ١٢- صورة مجملة .

ولو نظرنا في هذا العرض لتلك الأفكار و العناصر التي شملتها هذه الترجمة ثمت شئ يدفعنا للنظر في هذا الترتيب الذي آثر المؤلف الحديث عمن ترجم له بهذه الطريقة ومن خلال هذه العناصر مرتبة بهذا الشكل فكان حرىّ بالكاتب أن يبدأ بالحديث عن صفاته أو مفتاح شخصيته ثم

كونه متصفا بالعبقرية ضمن صفاته التي كان- رضي الله عنه - يتصف بها ثم ثقافته ثم إسلامه ،ثم عمر في بيته ،ثم عمر والنبي ثم عمر والصحابة يليه الحديث عن عمر والدولة الإسلامية . حتى يكون الحديث متدرجا من الخاص إلى العام من الحديث عن الرجل ذاته وما تميز به من صفات ، وما هو مفتاح شخصيته التي يتم من خلالها فهم تصرفاته وأفكاره ثم موروثاته الثقافية ومعلوماته التراثية وأفكاره و اتجاهاته ثم كان نتيجة لذلك إسلامه و أثر هذا الإسلام عليه وعلى أهل بيته ثم خاصة خاصته والمقربين منه ، ثم أثر هذا الإسلام واتصاله بالعالم الخارجي مع النبي –صلى الله عليه وسلم- والصحابة ثم العالم الأكبر الدولة الإسلامية وختاما الحكومة العصرية التي نحياها الآن وعايشها هو قديما ومنذ قرون ماضية .

ولكن إذا كان الكاتب آثر ترتيبا آخر في عرض أفكاره وجوانب شخصيته فلا بد أن لذلك معنى وهدفا يقصده من خلال هذا الترتيب و التنظيم وأظنه قصد من وراء هذا الترتيب الذي بدأه بالحديث عن كونه –رضي الله عنه- متصفا بصفة لا يشاركه فيها إلا الأقلون فهو "عبقري" وهي صفة ليست من اختراع المؤلف وإنما هي مأخوذة مما وصفه به النبي –صلى الله عليه وسلم – عندما قال في جزء من حديثه له عن عمر " لم أر عبقريا يفري فريه ....." [1]وكأن حديث النبي عنه ووصفه بهذه الصفة يستحق أن يكون سابقا في الحديث عن صفاته من جهة ومن جهة أخرى استهلال للمناسبة بين الحديث عن أخص صفاته – رضي الله عنه – وتسمية الكتاب الذي يتحدث عن حياته " عبقرية عمر

[1] - صحيح البخارى – كتاب التعبير -حديث صحيح

" ثم يصفه بصفة أخرى تستتبع اتصافه بالأولى وهو كونه "رجل ممتاز" بكل المعايير و المقاييس وكأن تلك العبقرية التي اتصف بها كان من أبرز نتائجها وغايتها أن تحول عمر إلى رجل ممتاز من الطبقة الأولى في تصرفاته وأفعاله دفعه ذلك إلى الانتقال من الخاص إلى العام في أخص صفاته (العبقرية والامتياز) إلى مجمل صفاته التي اتصف بها والتي ربما وجدت فيه وفي غيره بطبيعة الحال، ومن خلال دراسة هذه الصفات خاصها وعامها تستطيع التعرف إلى مفتاح الشخصية العمرية والتي من خلالها تفتح كل المغاليق وتستبين كل مجهول .

ولأنه عبقري وله من الصفات ما يجعله يكبر في نظر الآخرين أهله ذلك ودفع به إلى الحقيقة التي لا محيص عنها وهي الإسلام فكأن إسلامه كان نتيجة طبيعية لكل ما سبق فما أشبه حديث العقاد عن الفاروق بقضية منطقية لها مقدمات تفضي إلى نتائج حتمية .

ثم التطبيق العملي الذي طبق فيه عمر ما تمتع به من صفات وترجمها إلى أفعال من خلال اتصاله بالدولة الإسلامية وكونه خليفة للمسلمين فكان خير سلف لخير خلف .

والدولة الإسلامية التي حكمها عمر لابد من الموازنة بينها وبين تلك الحكومة العصرية التي نحياها حتى ندرك الفرق بينهما في كل شئ فنصحح المسار وتتحقق الغاية من خلال دراسة حياة الفاروق فيصبح كما قال العقاد " رجل المناسبة الحاضرة في العصر الذي نحن فيه "[1]

ثم كانت الشهادة التي توضع على صدر الفاروق والتاج الذي تتوج به رأسه فكانت علاقته بالنبي الكريم ورأيه صلى الله عليه وسلم فيه

---

[1] - عبقرية عمر ص٥

وحديثه عنه ثم شهادة الصحابة مـــن بعده –رضوان الله عليهم – أجمعين .

تلك الشهادتان يزيدهما ثقلا ويطيبهما عرفا ما وعته نفس عمر من الثقافات والمعارف و العلوم ، وكيف كان –رضي الله عنه – بين نسائه رؤوفا رحيما لينا .

ثم كان المشهد الأخير حيث الخليفة مدرج في دمائه ناطق بالحق والعدل حتى في أشد وأقسى أوقاته فغلف حياته بالعدل من بدايتها إلى نهايتها وكان ذلك كله من خلال حديث الكاتب عن " صورة مجملة " .

ويبدأ الحديث عن كونه عبقريا بتفسير العبقرية من وجهة نظر الكاتب بأنها تعني " التفرد والسبق والابتكار"[1] فلو تتبعنا تاريخ الفاروق وجدناه سباقا إلى كثير من الأفعال والأعمال التي تميز بها عن غيره فقد ورد من حديث النبي صلى الله عليه وسلم "رأيت في المنام أني أنزع بدلو بكرة على قليب فجاء أبو بكر فنزع ذنوبا أو ذنوبين نزعا ضعيفا، والله يغفر له ، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غربا ، فلم أر عبقريا يفري فريه ، حتى روى الناس وضربوا بعطن "[2]

وفي حديثه عن كونه –رضي الله عنه – رجلا ممتازا يقف عند هيبته التي كانت تعلوه وتميزه حتى في حضرة النبي –صلى الله عليه وسلم– التي تتطامن عنده الحياة وأولها جبهة عمر "[3]

---

[1] - عبقرية عمرص١٢

[2] - الحديث :سبق توثيقه ص ٢٤ ، قليب : بئر ذنوبا : دلوا الغرب : الدلو العظيمة عطن : مربط الإبل حول الماء

[3] -عبقرية عمرص١٣

ويذكر أمثلة لهذه الهيبة التي كانت تقع في نفس كل من يراه بما ذكره حافظ إبراهيم

من حديث الجارية التي كانت تضرب بالدف في حضرة الرسول الكريم والصديق فعندما وقع نظرها على عمر فزعت وخبأت ما في يدها وامتنعت عما كانت تنشده وفسر الرسول ذلك بقوله : قد فرّ شيطانها لما رأى عمر.

وتستمر الهيبة حتى بعد وفاته فتمتنع السيدة عائشة من خلع ملابسها بعد أن دفن الفاروق بجوار زوجها وأباها.

وهذا الحجام الذي كاد أن يقضي عليه عندما تنحنح عمر والحجام يقص له شعره فكاد يغشى عليه فأمر له عمر بأربعين درهما تعويضا عن خوفه وفزعه منه ..

ثم يتحدث الكاتب عن صفات العبقري الجسمية، والخلقية التي تنطبق تماما على صفات عمر ويستشهد ويدلل بالعديد من الأمثلة و الوقائع التي تؤكد ما يذهب إليه.

ويخص الكاتب أثناء الحديث عن صفاته تلك الصفات التي اتصف بها ابن الخطاب من " العدل ، والرحمة، والغيرة ، والفطنة ، والإيمان الوثيق " ويتناول كل صفة من هذه الصفات بالشواهد والأدلة التى تؤكد تمكنها في نفسه وروافدها التي تغذيها وتعدد أسبابها فيه ويطيل بالمناقشة والحوار والأخذ والرد والسؤال والإجابة عليه كل صفة من هذه الصفات المذكورة والتي من أبرزها في نفسه صفة " العدل ".

ويناقش ذلك بأن صفة العدل في عمر موجودة لعدة أسباب : لأنه ورث القضاء من قبيلته وآبائه .

لأنه قوي مستقيم بتكوين طبعه،وإن شئت فقل أيضا بتكوينه الموروث ؛إذ كان أبوه الخطاب وجده نفيل من أهل الشدة والبأس .

لأن آله من بني عدي قد ذاقوا طعم الظلم من أقربائهم .

لأنه كان متمسك بتعاليم الدين الحنيف[1]

ويرد الكاتب على أولئك المستشرقين الذين رأوا في عدل عمر المستقيم نظرا ضيقا وفكرا محدودا بقوله " ولو فهموه لأنصفوه ولعلموا أن عدله المستقيم القاطع زيادة في القدرة ، ، وليس بنقص في الفطنة ، أو أنه زيادة في قوة الثقة ، وقوة إيمان لا تخفيان في خلق من أخلاقه ، ولا عمل من أعماله ...."[2]

ثم يعرج إلى الحديث عن تلك الصفات بقوله :

" إذا نظرت إلى تلك الصفات أجزاء متفرقات ، فهي سهلة بسيطة ، ليس فيها شئ عويص ، أو مكتنف بغموض ، ولكنك تنظر إليها مركبة متناسقة ، فيبدو لك منها جانب الدهشة والإعجاز ، أو جانب الندرة التي يعز تكرارها في طبائع النفوس ، لأنها تتركب لاستيفاء الغرض منها جميعا واستيفاء الغرض في كل منها على حدة وهذا هو النادر جد الندرة في تركيب الخلاق " [3]

ويقر العقاد بأن مفتاح شخصية عمر قريب لمن يبحث عنه فليس فيها باب معضل الفتح هذا المفتاح يكمن في " طبيعة الجندي في صفتها المثلى "[4] فهو شجاع – حازم – صريح – خشن يتسم بـــ" الغيرة على

---

[1] - لمزيد من التفصيل راجع عبقرية عمر ص٢٢وما بعدها

[2] - المرجع السابق ص٤٤،٤٣

[3] - المرجع السابق ص ٤٨،٤٧

[4] - المرجع السابق ص٥٢

الشرف ، النجدة والنخوة ، والنظام والطاعة ، وتقدير الواجب ، والإيمان بالحق وحب الانجاز في حدود التبعات أو المسؤليات "[1]

(أ)إسلام عمر

أما حديث الكاتب عن إسلامه –رضي الله عنه – ويؤكد أن نفس عمر كانت مهيئة لهذا التحول العقدي لا محالة ، ويروي قصة إسلامه ويذكر كل الروايات الواردة فيها ويصححها كلها ولا يرى بينها تضاربا أو تعارضا ويبرر ذلك بقوله :" وقد تعددت الروايات في إسلام عمر ، واختلف بعض هذه الروايات في اللفظ واتفق في المغزى ، وجعل أناس ينظرون فيها كأنما الصحيح منها لا يكون إلا رواية واحدة ، وسائرها باطل ، لا يشتمل على حقيقة فلم لا تكون صحاحا كلها ؟ ولم لا تكون أسبابا متعددات في أوقات مختلفات ؟ فمن المستطاع المعقول أن نسقط منها قليلا من الحشو هنا ، ثم نخلص إلى جملة أسباب لا تعارض بينها في الجوهر ، وقــد يعزز بعضها بعضا في نسق السيرة وفي لباب النتيجة "[2]

وهي قصص وروايات تؤكد أن عمر كان مهيئا نفسيا لقبول الدعوة المحمدية والاستجابة لها ساعده على ذلك أنه كان "مستقيم الطبع مفطورا على الإنصاف ، فلم يكن رجل مثله ليستريح إلى فساد الجاهلية ، إذا نبه إليه وهدى إلى ما هو خير منه "[3]

---

[1] - المرجع السابق ص٥٢

[2] - عبقرية عمر ص٦٧

[3] - المرجع السابق ص٧٢

ولو رجعنا إلى عمرية حافظ إبراهيم وتصويره لمشهد إسلام عمر وجدناه يعتمد على رواية واحدة فقط من تلك الروايات التي أوردها العقاد وهي تلك التي سمع فيها ابن الخطاب آيات من سورة طه :

فلم تكد تسمع الآيات بالغة... حتى انكفأت تناوي من يناويها

سمعت سورة طه من مرتلها ..... فزلزلت نية قد كنت تنويها

وبطبيعة الحال فالمقام يتسع في النثر مالم يتسع له في الشعر فالعقاد يورد الروايات ويصححها ويناقشها ويوفق بينها أما حافظ فالمساحة الشعرية لا تفسح له هذا الافساح فاختار أكثر الروايات شيوعا وتداولا واعتمد عليها في الحديث عن إسلام الفاروق –رضي الله عنه – وهو كذلك لم ينس الإشارة إلى أثر إسلام عمر على الإسلام و المسلمين حيث قال :

ويوم أسلمت عز الحق وارتفعت ..... عن كاهل الدين أثقال يعانيها

وصاخ فيه بلال صيحة خشعت ..... لها القلوب ولبت أمر باريها

فاتت في زمن المختار منجدها ..... وأتت في زمن الصديق منحيها

نفس الموقف يعبر عنه العقاد ليبين هذا الأثر وبأن إسلام عمر يعد صفحة جديدة

في حياة الإسلام " صفحة يقرأ فيها القارئ قبل كل شئ ماذا يصنع الإسلام فى النفوس ، ويعلم منها قبل كل علم أن هذا الدين قدرة بانية منشئة من لدن المقادير التي تسيطر على هذا الوجود : كان قدرة تلابس الضعيف فيقوى ، وتلابس القوي فتنمي قـــوته ، وتجري به في وجهته ..."[1]

---

[1] - عبقرية عمر ص٧٣

يتحدث الكاتب عن خلافة عمر بن الخطاب وعن قدرته على تأسيس مجموعة من الأمور تحسب له في تثبيت دعائم الدولة الإسلامية كإشارته بوضع علم النحو للحفاظ على اللسان العربي ، وكذا إشارته على أبي بكر بجمع القرآن الكريم ، ونشأة الحكومة وترتيب الدواوين وتنظيم أصول القضاء والإدارة وحماية الثغور ، وفي النهاية يقول عنه " أنه وضع دستورا لكل شئ وتركه قائما على أساس لمن شـــــــــــــــــــاء أن يبني عليه"[1]

و عن عدله –رضي الله عنه – فحدث ولا حرج ويسوق الكاتب أثناء حديثه عنه –رضي الله عنه –عادلا ، العديد والكثير من الأمثلة والشواهد ، والخطب والأحاديث عنه وعن غيره وكلها تؤكد في النهاية أنه كان –رضي الله عنه – مثالا وصورة مجسمة للعدل في كل زمان ومكان"[2]

ويعقد الكاتب موازنة بين صورة عمر بن الخطاب وما يتسم به من العدل والرحمة والرأفة الزاهد التقي الورع الذي يوزع العطايا على قدر أصحابها ، وصورة الحكام في العصور الأخرى وما حفت به حياتهم من مظاهر الأبهة و العظمة ، ويقول إنه بهذا الشكل استطاع أن يحقق ما فشلوا فيه من تحقيق من الأمن والعدل والمساواة "[3]

---

[1] - المرجع السابق ص٨٨
[2] المرجع السابق ص ٩٤
٣- المرجع السابق ص١١٢
٤- المرجع السابق ١٢٤

(ب)النبى الكريم وعمر بن الخطاب

أما عن العلاقة بين النبي- صلى الله عليه وسلم – والفاروق "فعمر كان يحب محمدا حب إعجاب ، ويؤمِن به إيمان إعجاب ، ويستصغر نفسه إذا نظر إلى عظمة محمد ، وما هو فيما خلا ذلك بصغير في نظر نفسه ولا في نظر الناس"[٤]

وقدم عرضا مستفيضا لمشاهد وصور تجمع بين عمر والنبي –صلى الله عليه وسلم – ثم ناقش مسألة علاقة عمر بآل البيت ويردعلى الإفتراءات التي تقول بأن عمر حال بين علي والخلافة أكثر من مرة ويدعم ما يقول بما يثبت أن لآل البيت مكانة أسيرة عند ابن الخطاب من خلال الشواهد والأدلة التي يسوقها "[١] هذه العلاقة التي لم يتطرق إلى الحديث عنها لا من قريب ولا من بعيد حافظ إبراهيم ولم يشر إليها أدنى إشارة سوى ذكره للمشهد الذي جمع بين الصديق وعلي وعمر ورأى عمر في نفس علي عدم مبايعته للصديق فتوعد له عمر بإحراق داره إن لم يبايع أبا بكر رغبة منه في وأد الفتنة التي كادت أن تفرق الصف المسلم منشدا :

وقولة لعلي قالها عمر ..... أكرم بسامعها أعظم بملقيها

حرقت دارك لا أبقي عليك بها ..... إن لم تبايع وبنت المصطفى فيها

تلك المناقشات التي يجريها العقاد من آن لآخر نحن أحوج ما يكون لها حتى تتجلى أمامنا الحقائق وتتضح الرؤى خاصة في مثل هذه المواقف التي يقف عندها المغرضون ويحاولون النيل من الإسلام

---

[١] - المرجع السابق ص ١٤٠

وزعمائه ورموزه وأعلامه فنكون على بينة من جوانبها وعلى بصيرة بأبعادها حتى نستطيع إفحام الخصوم وردّ كيدهم في نحورهم .

(ج)عمر والصحابة –رضوان الله عليهم–

أما عن علاقة عمر بالصحابة فقد كانوا يحبونه في قوته وشدته وعدله وقالوا عنه كلمة صدق وحق وهم لا يقولون إلا حقا وصدقا وقد بكاه علي بن أبي طالب –رضي الله عنه وقال : أبكي على موت عمر إن موت عمر ثلمة في الإسلام لا ترتق إلى يوم القيامة ، وقال معاوية يوازن بينه وبين الخلفاء " أما أبو بكر فلم يرد الدنيا ولم ترده ، وأما عمر فأرادته الدنيا ولم يردها ، وأما نحن فتمرغنا فيها ظهرا لبطن "[1]

ومن بين الصحابة كلهم يطيل الكاتب وقفته أثناء الحديث عن العلاقة بين عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد ويبرر هذا المكث الطويل عند هذه المسألة " لم توضع مسألة في موضع التأويل الكثير والمناقشة الحادمة كما وضعت مسألة خالد بن الوليد–رضي الله عنه "[2]

ويذكر بعض المواقف التي جمعت بين خالد والرسول صلى الله عليه وسلم ، وكذا بينه وبين الصديق وغضبه منه في بعض مواقفه وتصرفاته الحربية وما أنكره عليه الصديق من " سرعة هجماته وشدة صدماته "[3]

ويختم حديثه بأن هذه المسألة " قد أرتنا مروءة خالد كما أرتنا مروءة عمر ، وقد عرضت لنا هذا البطل في صفحتيه فإذا هو بطل الفؤاد في

---

[1] - المرجع السابق ص١٥٣

[2] - المرجع السابق ص١٥٥

[3] المرجع السابق ص١٥٥

ولايته وبعد عزله ، وفي شدته على عدوه وطاعته لأميره ..... وما على مثله من خير أن يحق عليه العزل في ميزان عمر بن الخطاب فذاك ميزان تعلو فيه الكفة ولا يزال صاحبها راجحا أي رجحان "[1]

وهي نفس النظرة وخلاصة الرأي في هذه المسألة التي وصل إليها حافظ في عمريته فقد أطال الحديث عن خالد حتى ليأخذ بلب المتلقي بعيدا عن حديثه الأصلي عن الشخصية العمرية وكلاهما (حافظ والعقاد)ينتهي إلى نتيجة واحدة من خلال مدارسة ومناقشة هذه المسألة وهي أن كلا الرجلين (عمر وخالد) على صواب فيما فعل ويجب أن تفهم الأحداث وتفسر على مستوى فهم الرجلين ومقدار ما في نفس كل واحد منهما من الإيمان الذي يفرض عليه وجوب احترام الراعي لرعيته ووجوب تقدير الرعية للراعي .

(د)ثقافة عمر

أما عن ثقافة عمر فقد كان بشهادة الكاتب " رجلا وافر الحظ من ثقافة زمانه ، إنه كان أديبا مؤرخا فقيها ، مشاركا في سائر الفنون ، مدربا على الرياضة البدنية ، خطيبا مطبوعا على الكلام ، فليس أرجح من نصيبه في ثقافة زمانه نصيب "[2]

ويستشهد الكاتب على صدق كلامه بالعديد والعديد من الأمثلة والشواهد والروايات التي تؤكد ما ذهب إليه وما اتصف به الفاروق من الثقافة الموسوعية الشاملة "[3]

(ه)عمر فى بيته

---

[1] - المرجع السابق ص١٦٦

[2] - عبقرية عمر ص١٦٧

[3] - المرجع السابق ص١٦٨

فقد كان –رضي الله عنه– " رجلا فقيرا يعيش عيشة الكفاف ، ويقنع من الغذاء والكساء بحظ لا يتمناه كثير من الرجال ويزهد فيه كثير من النساء "[1]

(و)زوجاته–رضى الله عنه–

ويفرد الكاتب حديثا مطولا عن زوجات عمر اللاتي عشقنه وبكينه حين وفاته بكاء حارا ونقل ما أثر من مقولة بعضهم في وصفه بالحلم والعقل والغيرة الشديدة ثم ختم الحديث عن أولاده الذين كانوا قرة عين له بنين وبنات"[2]ويختم الكاتب حديثه عن عبقرية عمر بصورة مجملة يصرح من خلالها برأيه في الفاروق ونظرة مجملة في حياته وتصرفاته وأفعاله وسلوكياته فقد كان –رضي الله عنه– صاحب مناقب وأخلاق من أنبل الصفات الإنسانية توافقت فيه على قوة نادرة وتلاقت فيه إلى غاية واحدة ، وهي إحقاق الحق وإدحاض الباطل "[3]

(ز)مقتل عمر

يصف العقاد مشهد قتله وقد مدت إليه يد الغدر الآثمة لتنال منه شرا فنالت من جسده ولم تنل قدرا من همته وفضله ويحقق الروايات التي وردت في مشهد الوفاة والدافع وراء سفك هذا الدم الذكي الطاهر ويميل إلى أن الدافع يكمن فيماكان يضمره هؤلاء الحاقدون المغلوبون في الحرب إلى قتله والانتقام منه على يد مولى المغيرة بن شعبة ...

---

[1] - المرجع السابق ص١٨٨

[2] - المرجع السابق ص٢٠٠

[3] - المرجع السابق ص٢٠٤

ثم موقفه من قاتله وسؤاله عن سبب قتله إياه أعن ظلم ظلمه له أم غير ذلك ؟ وهو نفس السبب الذي يميل إليه حافظ إبراهيم ويرجحه على غيره .

وحرصه وهو في أصعب وأشد فترات حياته وأثناء موته يعهد إلى خيرة المسلمين بتوحيد الصف وعدم الفرقة وجمع كلمة المسلمين ويوصي وصية واجبة بالأخذ بمبدأ الشورى وتطبيقه ثم الحذر كل الحذر من الفرقة والاختلاف .

ويستأذن الفاروق السيدة عائشة أن يدفن بجوار صاحبيه وقرة عينه ورفيقا دربه فتأذن له مؤثرة ابن الخطاب على نفسها ولو كان لها خصاصة ثم كانت لحظةالرحيل ومشهد النهاية " وفارق الدنيا أعدل العادلين ، وهو مظلوم أو متهم بظلم ، فما دلها شئ على عظم فضله ولا عظم الحاجة إلى العدل فيها كما دلها هذا الختام"[1]

ومن خلال ما سبق يتضح أن الشاعر حافظ إبراهيم والكاتب عباس العقاد في عرض بعض الموضوعات والأحداث التي تكشف عن ملامح الشخصية العمرية وانفرد كل واحد منهما ببعض الأحداث التي تناولها في عمله الأدبي ولكل وجهته ومقصده فحافظ إنما يختار من الأحداث ما يكون به أقدر على إثارة العواطف والمشاعر والإحساس تجاه الشخصية التي يتحدث عنها ، ويتضح هذا جليا من خلال افتتاح الحديث عن الشخصية العمرية بتصوير مشهد القتل والوفاة حتى يشحذ كل طاقة المتلقي في وجهة معينة مصبها إلى حديثه الذي هو بصدد رسم أحداثه

[1] - عبقرية عمر ص٢٠٩

ومواقفه وليضمن أن كل الانتباه قد استحوذ عليه فيقع ما يلقيه بعد ذلك في القلب والصميم .

في حين أرجأ العقاد مشهد النهاية إلى الصورة الختامية المجملة وتلك مسيرة صحيحة لتناول الشخصيات التاريخية بالترجمة ولعله بهذا قد أفصح عن منهجه فهو لا يسرد الأحداث سردا وإنما ينتقي منها أحداثا بعينها للدلالة على ما يقصده وما يبتغيه ويريد توضيحه للقارئ فهو " يختار جوانب العظمة في شخصياته العبقرية ويخضعها للمناقشات العقلية ، والاستدلالات المنطقية ، والتفسيرات المختلفة التي يستند فيها على بعض الأحداث و الوقائع والأخبار والأقوال التي ترجح وجهة نظره وتؤيدها ، وكلها آراء يحاول تأكيدها بقدرته العقلية المعروفة لتصبح آخر الأمر متسقة مع المقدمات التي مزجها في ذهنه ، واختار لها ما يناسبها من الأمثلة والشواهد"[1]

[1] - الترجمة الذاتية في الأدب العرب الحديث –د-يحيي إبراهيم عبدالدايم –ط-دار إحياء التراث العربي – بيروت ص٢٤٣

الفصل الثاني

(الألفاظ والأساليب)

أولا:العمرية من حيث الألفاظ والأساليب

ألفاظ القصيدة العمرية ناطقة بصدق الإحساس ،وروعة الانبهار بشخصية الفاروق ، فكل لفظة يفوح بها الشاعر كأنها قطعة من روحه ينثر شذاها عبق الماضى الجميل نابضة بإحساس حي يعبر عن عصر النبوة الرائع .

الشاعر يبحث عن قيثارة مفقودة عله وجدها في حياة عمر فوقع أنغامه على معزوفة العدل ،والحكمة ،والقوة ،والرحمة وتنفس حياة الأوائل وقت أن كان للإسلام دولة ، وللمسلمين خلافة .

حسب القوافي وحسبي حين ألقيها .....أنى إلى ساحة الفاروق أهديها

لاهم ،هب لي بيانا أستعين به .....على قضاء حقوق نام قاضيها

قد نازعتنى نفسي أن أوفيها.....وليس في طوق مثلى أن يوفيها

قوله "قضاء حقوق ،...قاضيها ،أوفيها ،....

إنها فكرة العدل التى يبحث عنها والتى فقدت بفقد عمر.[1]

ويعلن صراحة أنه يتفرس أبناء عصره ،وحكامهم ،ومدى تحقيقهم للعدل لذا آثر أن يعبر عن عمر بلقب الفاروق .

فهو "يؤكد في أذهاننا ما يعنيه هذا اللقب الذي أسبغه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على عمر عند إسلامه ،وهو التفريق بين الحق

---

[1] - القصائد الإسلامية الطوال في العصر الحديث – ص ٧٧ بتصرف يسير

والباطل أوبصورة أشمل التفريق بين الجاهلية بكل ما تعنيه من ظلم ،ومحاباة وخلل ،وبين الإسلام وما يعنيه من عدالة وحق واستقرار "[1]

ودائما كانت اللفظة معبرة وناطقة بما يعتلج به قلب الشاعر ،وحسه ،ووجدانه وهنا تظهر شخصية الشاعر الذي يعد بحق مسيطرا على مقاليد اللغة سيطرة علم ،وإحساس .

فعندما تحدث عن موقف عمر –رضى الله عنه – مع أبي سفيان وما أخذه به من الشدة ،والعنف دون مراعاة لقرابة، أومجاملة لسيد في قومه استخدم الشاعر ما يدل علىذلك بصدق "الحسابة ،القرابة ،يجاملها ،يحابيها ..

ويضع الشاعر" نصب عينيه قضايا ملحة يعيشها عصره ،وتؤرقه بصورة حادة ،أيضا فإن مبالغته في تصوير قوة النفس مطلب من مطالب حافظ في مواجهة قيم الضلال والانحراف السائد ولكن يبدو أنه كان يستشعر نوعا من اليأس في تحقيق مطلبه ، فبالغ في تصوير قوة النفس لدى عمر "[2]

وبالكلمة الواحدة يكون التعبير من الشاعر الدقيق ،بالهمسة ،واللمحة يتحقق المقصود ربما بتشديد لفظة فالتضعيف في المبنى يدل علىالزيادة في المعنى ،أوصيغة نحوية ،أو وزن صرفي بعينه لتوصيل المعنى المراد.

فيؤثر الشاعر استخدام الفعل المضاعف حين أراد تصوير زوجة الفاروق وقد اشتهت حلوى فجمعت من الأموال ما يحقق رغبتها فعندما

---

[1] - المرجع السابق ص ٨٣

[2] - المرجع السابق ص٨٤

علم الفاروق ذلك نهاها وأخذ ما جمعته ودفع به إلى بيت المال فاستخدم الشاعر ألفاظا تدل على ذلك "أسويها ،لا أثنيها ،تشتهيها ،رديها .

فهو بذلك "يهدف إلى إعطاء بعد عميق ومؤثر للمعنى الذي يريد توصيله يتأكد هذا المعنى والإلحاح عليه "[1]

فقد اجتهدت زوج الخليفة في جمع وتدبير المال دل على ذلك قول الشاعر "أسويها"مشددة فالادخار لم يكن سهلا على حياة كلها شظف ،وزهد ،وتقشف .

كما أن رغبتها في شراء الحلوى باتت تلح عليها كذا وعدها له برد المال فقال الشاعر "لا أثنيها "والفاروق يصر على عودة المال "رديها "

ونفس توكيدالفعل تلمحه في استخدام صيغة المفعول المطلق فـــــي قوله :

قد نوهوا باسمه في جاهليته .....وزاده سيد الكونين تنويها

وفى ظل هذه الأجواء الإيمانية يقتبس الشاعر من أسلوب الحديث النبوي ما يساعده في فهم المقصود من هذا قوله :

غزى فأبلى وخيل الله قد عقدت .....باليمن والنصر والبشرى نواصيها

فالخيل التى يمتطيها خالد ،وجنوده معقود فى نواصيها الخير مصداقا لقوله – صلى الله عليه وسلم – " الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة "[2]

كما يقتبس الشاعر من الأمثال العربية للاستفادة من تجارب السابقين حيث قال :

---

[1] - المرجع السابق ص ٩٢

[2] - الحديث في صحيح البخاري – كتاب المناقب – باب سؤال المشركين أن يريهم النبي – صلى الله عليه وسلم –آية فآراهم انشقاق القمر – حديث صحيح

وقيل : خالفت يا فاروق صاحبنا .....فيه وقد كان أعطى القوس باريها [1]

وما كان ذلك منه إلا "ليبلغ قمة التأثير "[2]

وهذا لايمنع من اضطرار الشاعر إلى المخالفة في القياس النحوى من هذا قوله :

كم أخفت فى الله مضعوفا دعاك به .....وكم أخفت قويا ينثنى تيها

فالشاعر يصف مـــــا كان يتمتع به "جبلة بن الأيهم "من قوة الشخصية ،والخيلاء ،والكبر ،وغير ذلك من الصفات التى لم يغيرها الإسلام في نفسه هذه القوة يقابلها ضعف شديد من جانب المجنى عليه دل عليها بصدق استخدام الشاعر صيغة "مضعوفا "بدلا من "ضعيف "وبضدها تتميز الأشياء .

وقد يكون مخالفة القياس اللغوى لضرورة شعرية كان لابد منها حتى لاينكسر الوزن العروضى للبيت من هذا قوله :

ولم يجز بلدة إلا سمعت بها .....الله أكبرتدوى في نواحيها

بتسكين الدال بدلا من فتحها

على أن غلاف العذوبة والسهولة واليسر يحتضن ألفاظ القصيدة ،وأساليبها " والسر في جنوح حافظ إلى السياق اللفظى السهل يعود إلي طبيعته الاجتماعية وارتباطه

بالطبقة العامة ، وانغماسه داخل الحس الشعبي "[3]

---

[1] - المثل يضرب لتفويض الأمر إلى من يحسنه ويتمهر فيه ٠- المستقصى في أمثال العرب – الزمخشرى –ط – دار الكتب العلمية – بيروت – ج ١- ص ٢٤٧

[2] - القصائد الإسلامية الطوال فى العصر الحديث– ص ٨٥

[3] -المرجع السابق – ص ٩١

**ثانيا:عبقرية عمر من حيث الألفاظ والأساليب :

يرسم العقاد لنفسه أسلوبا يعبر من خلاله عن عظمة الشخصية العمرية هذا الأسلوب تدل عليه الألفاظ المستخدمة التي تتسم بالقوة والجزالة ، والأسلوب هو الرجل كما يقولون وعندما تطالع " عبقرية عمر إذ بك يتسلل على نفسك انطباع لا يغيب عنك حتى تنتهي من قراءتها مجملة إنه الإحساس بالقوة والحزم والعزم ورباطة الجأش التي أشعر أنه جمعت بين الكاتب ومن يتحدث عنه فكلاهما موصف بالقوة والإحساس بالمنعة و العزة ، والجرأة والغيرة الشديدة ثم بعد فإنهما كذلك يخفيان وراء تلك القوة والصلابة عاطفة جياشة ورقة في المشاعر والأحاسيس تراها مجسدة تمام التجسيد في أشعار الكاتب ، وفي مواقف الفاروق التي تفيض بها كتب السيرة .

وكأني بالعقاد يشاكل عمر في أخص صفاته فجاء أسلوبه متوشحا بهذه الصفات مظهرا القوة في موطن القوة واللين في موقف اللين و الرحمة ، فعندما تحدث عن قوة الفاروق في وأد الفتنة وموت أسبابها والصرامة في اتخاذ القرارات والقدرة على تنفيذها يحكي الكاتب ما كان من أمر المرأة التي تمنت نصر بن حجاج وحزمه فإذا به يرسم المشهد ويغلفه بألفاظ قوية نابعة من قوة عمر وشدته تجاه الحدث فيقول :

" هتفت امرأة باسم نصر بن حجاج ، وتمنت أن تشرب الخمر وتلقاه ، فأرسل إليه فإذا هو أحسن الناس شعرا وأصبحهم وجها . فأمره أن يجم شعره ، فظهر جبينه ووجنتاه فازداد حسنا ، ثم أمره أن يعتم ، فزادته العمامة زينة و غواية فقال : لا يسكن معي رجل تهتف به العواتق في

خدورها وزوده بمال وأرسله إلى البصرة ليعمل في تجارة تشغله عن النساء وتشغل النساء عنه "[1]

ويعقب على قضاء الفاروق بقوله :" وقد كان له في قضائه ذلك الحزم الذي يقطع اللجاجة وينهض بالحجة على كل ذي خلاف كلما اشتجر الخلاف " [2]

فلك أن تطالع القوة والشدة والحزم و الصرامة من خلال الألفاظ التي استخدمها الكاتب للدلالة على الموقف الذي يتحدث عنه وهو يفرض بطبيعة الحال على الفاروق أن يضع نفسه في إطار القوة حتى يتسنى له تنفيذ القوانين و الأحكام والموقف معكوس في الحديث عن جانب الرحمة واللين فيتحدث عن لينه وحبه لأصدقائه فيقول :" وقد يرحم الرجل أهل الرحم و القرابة ، ويعفو غيرهم من الناس ، ولكن الرحمة الأصيلة في الطباع تسوي المودة ولا تفرق ، وتخلق هي أسباب الرحمة ، ولا تنتظر حتى تفرضها عليها القرابة بأسبابها . فكان عمر كما روى " الحسن " يذكر الصديق من أصدقائه بالليل فيقول : يا طولها من ليلة ! فإذا صلى الغداة غدا إليه ، فإذا لقيه التزمه أو اعتنقه . وكان بكاء طفل يزعجه ويقطع عليه صلاته وينغص عليه ليله ."[3]

وجميل أن يجتمع النقيضان في واحد فقد زعم البعض أن " البأس والحق نقيضان ، فإذا فهمنا عظيما واحدا كعمر بن الخطاب ، هدمنا دين القوة الطاغية من أساسه ، لأننا سنفهم رجلا كان غاية في البأس وغاية

---

[1] - عبقرية عمر ص٥٥
[2] المرجع السابق ص٥٥
[3] - المرجع السابق ص٣١

في العدل وغاية في الرحمة ... وفي هذا الفهم ترياق من داء العصر يشفي به من ليس بميئوس الشفاء"[1]

والعقاد في عبقرية عمر يستخدم بعضا من الألفاظ الغريبة التي تحتاج إلى الكشف عنها معجميا وإن كانت هذه الغرابة التي قد تجدها في بعض الألفاظ تتنافى وطبيعة السرد الذي تعتمد عليه التراجم الغيرية ، لأنها تكون أشبه بعقبات تقف حجر عثرة أمام القارئ تمنعه من مواصلة السير وبمثابة حواجز يجب تجاوزها للوصول إلى المعنى المقصود ولا تكاد تخلو صفحة من العبقرية العمرية بل ربما يجتمع في الصفحة الواحدة أكثر من مفردة تحتاج بيان معناها "[2]

ولعل ذلك كان دافعا لأحد النقاد أن يقول عن العقاد إنه علم من أعلام نثرنا الحديث " وقد ظفر نثرنا عنده ببراعة فائقة على أداء المعاني في لفظ جزل رصين فيه قوة ومتانة وفيه دقة تشعرك بسيطرة صاحبها على المادة اللغوية فهو يعرف كيف يصوغ كلمة وكيف يلائم بينها ملائمة يجد فيه قارئوه اللذة و المتعة "[3]

وهذا لا يمنع من أنك تشعر بحرارة العاطفة من آن لآخر فهو " مترسل بارع يحدثك بعقله ولكن حديثه لا يخلو من حرارة القلب . وقد

---

[1] - المرجع السابق ص٥

[2] - المرجع السابق ١٣٦

[3] - الأدب العربي المعاصر في مصر – شوقي ضيف ط دار المعارف – مصر ط١٢ ص ١٣٨ [3]

تشتد هذه الحرارة فيه أحيانا فتطفو على قوة المنطق فيه وهكذا تستحيل إلى دفاع عن عقيدة في نفسه "[1]

فتشعر بنبض الأبوة الحانية تفيض في حديثه عن أبي حفص ولك أن تقرأ ذلك في قوله: وكان أبا يحب أبناءه ويعرف وجد الآباء بالأبناء وينزع الثقة من وال لا يحنو على صغاره .. أمر بكتابة عهد لبعض الولاة فأقبل صبي صغير فجلس في حجره وهو يلاطفه ويقبله ، فسأله المرشح للولاية : أتقبل هذا يا أمير المؤمنين ! إن لي عشرة أولاد ما قبلت أحدا منهم ولا دنا أحدهم مني .. فقال عمر وما ذنبي إن كان الله – عز وجل – نزع من قلبك الرحمة .. إنما يرحم الله من عباده الرحماء .. ثم أمر بكتاب الولاية أن يمزق وهو يقول إنه إذا لم يرحم أولاده فكيف يرحم الرعية ؟"[2]

كما أن للكاتب " قلما قديرا في التعبير عن أدق الخواطر وله فوق ذلك مقدرة على سبر الأغوار النفسية وتصوير ما تحويه من عواطف لا يستطيع تصويرها غير ذوي المواهب الفكرية و الأدبية "[3]

ولك أن تتأكد من ذلك بوضوح عندما تحدث عن الصديق وعمر ونظرة النبي –صلى الله عليه وسلم– لهما فقال معبرا بدقة عن تلك النظرة : " فعمر بن الخطاب الذي عرفه تاريخ العالم وليد الدعوة المحمدية دون سواها بها عرف وبغيرها لم يكن ليعرف في غير الحجاز أو الجزيرة العربية أما القدرة الأخرى التي يمتاز بها العظيم الذي خلق

---

[1] الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة – أنيس المقدسي ط-دار العلم للملايين –بيروت- لبنان ط٤ ص٥٩١ [1]

[2] - عبقرية عمر ص١٩٢

[3] - الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة –ص٥٩٢

لتوجيه العظماء فقد أبان عنها النبي عليه الصلاة والسلام في كل علاقة بينه وبين عمر من اللحظة الأولى أي من اللحظة التي سأل الله فيها أن يعز به الإسلام إلى اللحظة التي ندب فيها أبا بكر للصلاة بالناس وهو – عليه السلام– في مرض الوفاة سبر غوره واستكن عظمته وعرفه في أصح مواقفه فعرف الموقف الذي يتقدم فيه على غيره والموقف الذي هو أولى بتقديم غيره عليه"[1]

فهناك فارق كبير بين ألفاظ وأساليب حافظ في عمريته ونفسهما والعقاد في عبقريته .

فأنت تلتقي بألفاظه السهلة القريبة من الأفهام السلسة العذبة والأساليب الواضحة في العمرية لحافظ فكانت ألفاظه و أساليبه قطعة من نفسه وحسه وموافقة تمام الموافقة للأسلوب الشعري العذب الجميل .

كما كانت ألفاظ العقاد وأساليبه هي الأخرى صورة لنفسه وقطعة من إحساسه الذي يغلبه الجانب العقلي المنطقي فيصاب تارة بالغرابة وتارة أخرى بالمنطقية والفلسفية والدقة المتناهية في الوصول إلى المقصود وتحديد الهدف .

---

[1] - عبقرية عمر ص٧

الفصل الثالث
(الصور والأخيلة)

أولا:العمرية من حيث الصور والأخيلة:

يلون الشاعر حديثه عن الفاروق – رضي الله عنه – بألوان متعددة مابين التصوير التشبيهي ، والتصوير الاستعاري ، مستعينا في سبيل ذلك بالكلمة المؤثرة والصورة الموحية، والأدوات المساعدة من طباق ، ومقابلة ...الخ

والملاحظ أن الشاعر إنما يسلط الضوء على مواقف بعينها يتضح من خلالها جوانب الصورة وأبعادها ، فيحصل المقصود منها ،وتتحقق الغاية المرجوة من وراء التصوير، والتجسيد ، فيختار " حافظ المواقف ذات الحيوية التي تنمو من خلالها القدرة الدرامية لتوصيل شحنة المشاعر، والرؤى إلى القارئ مستعينا باللفظةوالصورة والموسيقى "[1] والصورة العمرية صورة خاطفة ينتقل معها الشاعر من صورة إلى أخرى.

كل صورة توضح جانبا من جوانب الشخصية العمرية مكونة في النهاية صورة جامعة شاملة للفاروق ومسيرة حياته وملامح شخصيته الإسلامية الإيمانية .

وأول مشهد من مشاهد هذه الصورة الكلية الكبيرة مشهد يدعو إلى الأسى، و الحزن ممزوجا بدماء الفاروق الزكية معطرا بأنفاسه الطاهرة فيه بعض صوته الشجي المكلوم المطعون طعنة غدر من مولى المغيرة بن شعبة وقد تناسج اللون ، والرائحة ، والصوت ، واكتمل المشهد

---

[1] القصائد الإسلامية الطوال – ص ٩١

الدامي مصورا بذلك النهاية قبل البداية مكان حديث الشاعر عن مقتل الفاروق قبل الحديث عن حياته في الجاهلية ، ثم إسلامه .. ثم .. الخ ..

وإنما آثر الشاعر هذه البداية وتصويرهذا المشهد " ليثير أكبر قدر من الانتباه وأعظم حشد من التركيز ، فنعرف من ولماذا وكيف قتل عمر ؟ ونفهم سر هذه الكارثة التي جاوزت حدود شخصية عمر الشهيد إلى شخصية المسلمين كجماعة مرزأة أصابها ما أصابها .

بعد مصرع الفاروق ثم نتجاوز الكارثة لنعرف أسبابها تفصيلا بعد التحذير الذي جرى على لسان عمر قبيل الشهادة"[1]

وداخل هذه الصورة أجزاء وجوانب تعين على رسم المشهد المؤثر فقد :

مضى وخلّفها كالطود راسخةً.. .....وزان بالعدل و التقوى مغانيها

فقد مات عمر بعد أن ثبت أركان دولة الإسلام وتركها شامخة كالجبل الأشم الراسخ بجامع الثبات والرسوخ في كلٍ ، وإذا بدولة الإسلام كانت وستظل يتربص بها المتربصون ، يحاولون الهدم بعد البناء،والنقصان بعد الزيادة:

تنبو المعاول عنها وهي قائمة..... والهادمون كثير في نواحيها

وكم بذل الفاروق من أجلها ومن أجل الحفاظ على هيبتها وكيانها :

كم ظللتها وحاطتها بأجنحة ..... عن أعين الدهر قد كانت تواريها

من العناية قد ريشت قوادمها..... ومن صميم التقى ريشت خوافيها

١- القصائد الإسلامية الطوال ص٧٩

فكان منها بمثابة الأم مع صغارها تخاف عليهم ،وتهفو بأجنحتها تحوطهم وتحذر أعين الأعداء ،والحاقدين فباتت آمنة مطمئنة في ظل حاكم يرعى الله فيها .

وبعد هذا الجانب من الصورة الحزينة الباكية ينتقل الشاعر إلى ركن آخر من اللوحة ركنا يشرق بإسلام الفاروق الذي دعا النبي- صلى الله عليه وسلم – أن يعز الله الإسلام بدخوله فيه فاستجابت دعوته – صلى الله عليه وسلم- وسرعان ما أذعن ابن الخطاب للحق وامتثل لدعوة الإسلام بفضل الله عز وجل :

فلم تكد تسمع الآيات بالغةً..... حتى انكفأت تناوي من يناويها

فزمن الاستجابة للدعوة واستقرار الإيمان في نفس الفاروق هو نفسه الزمن الواقع بين الشطر الأول و الثاني .

فهنيئاً لابن ا لخطاب بدعوة الرسول ، ومرحى للإسلام باعتناق الفاروق له.

وإذا ولينا وجوهنا صوب جانب آخر من الصورة توقفت عيوننا عند مشهد مؤثر حيٍ نابض مشهد الحزن يغلب قوة الفاروق ،ويذهب عقله ويشتت فكره ولم لا ؟ والمفقود أعز موجود . إنه رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يقبض وتصعد روحه الطاهرة ،ويطير معها عقل الفاروق، ولك أن تقرأ هذه الأبيات لتتصور ما حدث من كر وفر، وإقبال وإدبار ، وذهول ودهشة ، بين صفوف المسلمين عامة وبين حنايا نفس الفاروق خاصة :

بات النبيُّ مسجى في حظيرته..... وأنت مستعر الأحشاء داميها

تهيم بين عجيج الناس في دهش..... ...من نبأة قد سرى في الأرض ساريها

تصيح : من قال نفس المصطفى قبضت..... علوت هامته بالسيف أبريها

أنساك حبك طه أنه بشر ..... يجري عليه شؤون الكون مجريها

فحالة عمر ما بين " هيام ، وعجيج ، ودهش ، وصياح ، وضرب بالسيف ،..." من هول الموقف ،وجلل الخطب وإذا كان هذا هو حال من عرف بالثبات والقوة ،والشدة فما بال غيره ممن هو أقل منه شدة وقوة وصلابة .. الله للمسلمين بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فهذا أعظم مانكب به المسلمون منذ بدء الدعوة الإسلامية إلى الآن .

وبعد مشهد الموت والفقد المؤثر يأتي مشهد البيعة ، والسقيفة والمسلمون مجتمعون لتنصيب الخليفة وتولية الحاكم .. كاد الخلاف يمزق أوصالهم فإذا بحكمة الفاروق تهدئ النفوس وتقف بالمسلمين على شاطئ الأمان والوحدة فيسارع بالبيعة للصديق – رضي الله عنه – فيقضي بذلك على خلاف محقق ، ويوحد كلمة المسلمين وينحي عنهم الفتنة والفرقة ، والخلاف ..

وموقف لك بعد المصطفى افترقت... ..... فيه الصحابة لما غاب هاديها

بايعت فيه أبا بكر فبايعه... ..... على الخلافة قاصيها ودانيها

وتتتابع جوانب الصورة من مشهد إلى آخر ومن ملمح إلى غيره .. وتتكون في ذهن القارئ شخصية الفاروق كما كانت ، وكما رسمها الشاعر القدير ..

وفي خضم هذا المشهد ووسط هذه الألوان المتعددة الزاهية تارة والقاتمة تارة أخرى يظهر عمر وموقفه من خالد بن الوليد وقصة خلعه في أوج انتصاراته التي جاوزت الحد وتخططت كل المقاييس الحربية :

عشرون موقعة مرت محجلة..... من بعد عشر بنان الفتح تحصيها

فانتصاراته واضحة شاهدة وضوح التحجيل في الفرس الأدهم .. وإذا خالد يخطف الأبصار، ويستحوذ على ذهن القارئ والسامع ومن قبل شغل قلب ،وعقل الشاعر فأنساه أنه يتحدث عن عمر بن الخطاب فولى وجهه نحو خالد واستطرد، وأفاض واستفاض في ذكر مناقبه ومحامده وناقش، وحاور في خضوعه لأمر خليفته بقبول الخلع واستجابته لما طلب منه دون أدنى مراوغة أو رفض .

فحوّل الشاعر الأذهان ،و القلوب إلى خالد بن الوليد – سيف الله المسلول – ، واستولى ببطولاته وحلمه وأدبه وإيمانه وطاعته لولي الأمر على جزء كبير من اللوحة الكبرى والمشهد الناطق .

فاحتل الحديث عنه تسعة وعشرين بيتا من المطولة ، فقاسم الفاروق في الشهرة و النظم ، وشغل جزءًا كبيرا من اللوحة الكبرى .

في حين يحتوي الحديث عن عمرو بن العاص على لمحة ،وإشارة بالنسبة لسابقه ، وهو من هو الداهية ، الفطن ، الحذر ، الحليم ، الكيس... عبر عنه الشاعر بصفة هي من أخص صفاته وأعرفها فلقبه : بداهية السُّوّاس" وجعله فريداً في دهائه وفكره فلم تنبت الأرض مثله دهاءً وفكراً:

لم تنبت الأرض كابن العاص داهيةً..... يرمي الخطوب برأي ليس يخطيها

والأرض لا تنبت بشراً ، والخطوب لا ترمي برأيٍ ولكنها مخيلة الشاعر التي ترى الأشياء على غـير طبيعتها ، وجبلتها التي خلقت عليه .

ولعبد الله بن عمر جانب من اللوحة ونصيب من المشهد يقود إبله التي بدت عليها آثار النعمة فأكلت وشربت وشبعت فصارت:

كالقصور الشامخة العالية :

..... مثل القصور قد اهتزت أعاليها

فانتزعها منه أبوه وردّها إلى بيت المال تحقيقا للعدل فلولا كونه ابنا لخليفة المسلمين ما كانت له هذه الإبل بهذا الشكل وتلك الضخامة ، والقوة .

وهناك وفي مشهد جزئي من اللوحة صورة للجمال ، والبهاء ، والروعة ،وحسن المنظر يطل من بين عيني هذا الشاب الذي حباه الله وسامة لافتة، وطلعة بهية تشحذ قلب فتيات المدينة فكان مثله مثل الزهرة الجميلة التي لفتت الأنظار إليها فكان جمالها سبباً في هلاكها وقطفها وموتها ..

وزهرة الروض لولا حسن رونقها ..... لما استطالت عليها كف جانيها

كما أن للحسن فتنة يجب وأدها فهي لا تقل عن فتنة الحرب خراباً ودماراً مما دفع الشاعر إلى القول :

وفتنة الحسن إن هبت نوافحها .....كفتنة الحرب إن هبت سوافيها

تأمل في جوانب تلك اللوحة الكبرى وتابع المشاهد على مسرح الحياة العمرية تطل من هنا وهناك ،.. فإذا بالفاروق نائماً مستغرقاً في سباته قرير العين هانئ البال متوسداً الرمال يقترب منه رسول كسرى يسأل أين أمير المؤمنين وخليفتهم؟ فيشار إلى هذا النائم في ظل الشجرة بالي الثياب رث الهيئة فيقترب أكثر ليتحقق مما يراه في ذهول، ودهشة ومع الاقتراب يجول بخاطره مشهد أكاسرة الفرس وما أحاطوا به أنفسهم من مظاهر الأبهة والعظمة وتلك القصور التي شيدوها وسجنوا أنفسهم بداخلها والحراس من حولهم يضاعفون من سجنهم " وعن طريق هذه المفارقة في التصوير بين النمط الفارسي والنمط الإسلامي تتضح الصورة الدقيقة والمؤثرة ، لتجعل الرسول الفارسي يحتقر العالم

الكسروي وما فيه ويشيد من فوره بالعدل الإسلامي الذي يجعل الخليفة ينام قرير العين راضي النفس"[1] وكأن حافظا "يقول بأعلى صوت إنني أتحدث لأهل زمني وعصري، بلسان رسول كسرى ، فأرى الجلالة بأسمى معانيها في الحاكم العادل"[2]

وفـــي جانب آخر من الصورة يحتضر الخليفة ويستعد لاستقبال المنية ، وللمنية طعم مرّ هذا الطعم لم يجعله يتراجع عن الوصية بالشورى لمن بعده وما كان ذلك إلا حرصا منه على تثبيت أركان الشورى بين المسلمين فيمن يتولى الخلافة ويسوس الحكم .. فهل المنية طعام يستساغ أولا ..؟

لاشك أن أثرها على النفس عظيم ، وهو لها شديد ومع الأثر وهذا الهول تنكشف النفس على حقيقتها وتتجلى في أوضح جوانبها فالعدل أساسه الشورى والأخذ برأى الآخر والاعتبار به وفي تحقيق مبدأ الشورى بين المسلمين أساس للإصلاح فيما بينهم وهلاك للاستبداد والتحكم ....." إن الحكومة تغري مستبديها"

وعلى بعد من اللوحة وفي جانب من جوانبها نار مستعرة وعجوز تجلس أمامها وشيخ يقذف أنفاسه في النار لتلتهب، وتشتعل ،وصغار يبكون جوعاً ويصرخون عطشاً إن ملامح هذا الشيخ تشبه إلى حد كبير ملامح ابن الخطاب .. هذه شيبته، وتلك كهولته .. وذاك حزمه وعزمه .. يعلوهما رحمته ،وشفقته بتلك المرأة وصغارها الذين يشكون جوعاً فتك بهم، وحرمهم نوم الليل الهادئ فنفذ صوتهم، وبكاؤهم إلى قلب

---

[1] - القصائد الإسلامية الطوال ص٨٧

[2] - المرجع السابق ص٨٨

خليفة المسلمين فذهب وأحضر لهم من بيت المال ما يقوم بطهيه وطبخه وتقديمه لهم عل ذاك اللهب الذي ينضج عليه الطعام يكون وقاية له من نار تلظى في الآخرة .

الصورة مؤثرة والمشهد مؤلم وأدوات الصورة صغار يبكون وامرأة تشكو وعجوز يطهو،ونار مستعرة ، وليل دامس، ونجوم لامعة في سماء شاهدة على رحمة الفاروق وشفقته ، مسئول عن رعيته قادر على هذه المسئولية يوفيها حقها لوجه الله تعالى.

مفردات الشاعر ناطقة مصورة للمشهد أدق تصوير فالخليفة "منبطحاً، والنار يذكيها ، تخلل لحيته يعلوه دخان كثيف، وفوه غاب في فيها ، يستقبل النار خوف النار ، وعينه خاشعة ، تسيل منها الدموع ..

هكذا كان الفاروق وتلك كانت شيمته صدق فيه قول القدير " أشداء على الكفار رحماء بينهم .."[1]

وتلك هـــي صورة الرحمة والشفقة في أجلى معارضها وأخص جوانبها .

هذه الجوانب المتعددة في الصورة تجعلها ثرية بكثير من المعاني حية موحية تكتمل كل هذه الجوانب لترسم في النهاية صورة صادقة للخليفة العمري .

وإن نظر البعض إلى هذه الصور المتعددة واعتبرها دليلاً على فقدان الوحدة الموضوعية فـــــي الأبيات وعده مدعاة إلى التفكك وتنوع الأفكار .[2]

---

[1] -سورة الفتح آيه ٢٩

[2] - القصائد الإسلامية الطوال ص٩٠

ونظر إلى تلك المشاهد المتنوعة الظلال ،و الألوان، والأحاسيس على أنها لا علاقة وشيجة فيما بينها ويصرح بأن القارئ في استطاعته " أن يجتزئ عنواناً من هذه العناوين ويقرأ الأبيات تحته كقصيدة مستقلة يستمتع بفكرتها وتجربتها و أدائها.."[1]

وأنه لم يلجأ إلى نظم القصص في هذه المقاطع ، وإنما تقمص روح الروائي الذي يصور الأحداث، والشخوص، والمواقف من خلال رؤيته ورغبته العارمة في التشويق والإثارة الذهنية[2] " وأنها بهذا الشكل الذي تتعدد فيه المشاهد " مشروع ملحمة شعرية ، كان يحتاج لتطوير وتعميق وتفصيل .."[3] والحق أن تلك الجوانب المتعددة والتي ينتقل فيها الشاعر من مشهد إلى آخر ومن لون إلى غيره ومن إحساس بالفرح إلى شعور يناقضه ما كـــان هذا وغيره إلا لكثرة عطايا الشاعر و إبداعاته المتجددة ، وشاعريته الطاغية، وإحساسه المتدفق بالشخصية التي يتحدث عنها فإذا بهذه المشاهد ، وتلك الألوان حية نابضة تعبر عن إحساس وشعور وترسم مشهد، وتلون صورة وهذا لا يخالف القول بأن الصور الجزئية قليلة فالتشبيهات ، والاستعارات .. وغيرها من ألوان البديع تعد قليلة بالنسبة لطول القصيدة .

ولكن كان تركيز الشاعر على الصورة الكلية بجوانبها المكتملة والتي تظهر في النهاية لوحة ناطقة معبرة حية مؤثرة .

---

[1] - المرجع السابق ص٩٠

[2] - المرجع السابق ص٩١

[3] - المرجع السابق ص٩٠

***ثانيا:عبقرية عمر من حيث الصور والأخيلة :**

أراد العقاد من خلال حديثه عن الشخصية العمرية أن يرسم لهذه الشخصية خطوطا رئيسة وملامح وقسمات معينة تتضح بها الصورة جليا ماثلة رأى العين عن طريق ذكر صفات دون غيرها ومواقف وأحداث بعينها فهو يرسم " صورة نفسية للبطل بعرض خصائصه الأساسية البارزة والتدليل عليها بحوادث منتقاة من تاريخه لها دلالتها على هذه الخصائص دون الدخول في تفصيلات حياته وتتبع خطاه وكتب العبقريات كلها من هذا الطراز ويبلغ فيه من البراعة إلى حد أن خطا هنا وخطا هناك في الصورة يبرز الملامح ويصور السمات ويدع هذه الشخصية تنتفض حية معروفة لدينا كما لو كنا صحبناها أمدا طويلا وهو يسكب في هذه الصورة عصارة نفسه وخلاصة تجاريبه وقوة منطقه ونصاعة تعبيره"[١]

هذا الأسلوب في رسم صورة للشخصية عن طريق ذكر حوادث بعينها ومواقف دون غيرها ربما لا تلقى قبولا من بعض النقاد حيث يرون فيها خطورة تبعث على تجنب الاعتماد عليها من ذلك قول أحدهم : " ولكن هذه الطريقة –على ما فيهل من إبداع – ليست مأمونة لأن الغلطة الصغيرة فيها تذهب بالصورة كلها . فهي غلطة في سمة إنسانية لا في حادثة جزئية ولا تخلو من نقص وخطر لأن الشخصية الإنسانية ليست وحدة ثابتة في جميع الظروف و الأحوال فالاكتفاء بالسمات

---

[١] - النقد الأدبي –أصوله ومناهجه – سيد قطب ط دار الشروق ١٤٠٣- ١٩٨٣ ط٥ ص ٩١

البارزة والخصائص الكبيرة والحوادث المختارة لا يكفل تصوير الشخصية من كل جوانبها وفي جميع ملابساتها ولا يضمن لنا صورة من الحياة المتسلسلة للبطل كما عاشها أول مرة "[1]

وأرى أن هذا الكلام إنما يصدق على من يقوم بكتابة ترجمةغيرية فيرصد كل موقف وكل حدث في حياة من يتحدث عنه أما العقاد فإنه لا يكتب سيرة ولا تأريخا وإنما يرسم صورة من خلال قسمات ومواقف كثيرة ومواقف يقصدها هو ويختارها من بين مواقف كثيرة ومشاهد متتابعة حتى تؤكد ما يذهب إليه ويتأكد من أن هذه الصور التي اختارها إنما تؤدي لا محالة لوصف الشخص الذي يتحدث عنه بالعبقرية .

وهذه الصور والروايات التي يوردها العقاد أثناء حديثه عن الشخصية العمرية هي في حد ذاتها صور ولوحات متكاملة ناطقة بالحياة و الروح فيها ، الصوت ، والصورة ، واللون ، والحركة ،.. ولك أن تشاهد معي هذا المشهد الحيّ النابض الذي يقطعه الكاتب من حياة عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– ويحمل به كتابه فيفوح شذى وعطرا من عبق الشخصية العمرية :

" قال أسلم : خرجنا مع عمر –رضي الله عنه– على حرة واقم ، حتى إذا كنا بصرار إذا نار تؤرث فقال : يا أسلم إني أرى هاهنا ركبانا قصر بهم الليل والبرد . انطلق بنا !

فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم فإذا بامرأة معها صبيان وقدر منصوبة على نار ، وصغارها يصرخون فقال عمر : السلام عليكم يا أهل الضوء . وكره أن يقول : يا أصحاب النار . فأجابته المرأة :

---

[1] - المرجع السابق ص٩٢

وعليكم السلام ! فقال أأدنو؟ فقالت : إدن بخير أو دع . فدنا منها فقال : ما بالكم ؟ قالت قصر بنا الليل والبرد . قال : وما بال هؤلاء الصبية يتضاغون ؟ قالت الجوع! قال وأي شئ في هذه القدر؟ قالت : ماء أسكتهم به حتى يناموا ... والله بيننا وبين عمر ! فقال : أي رحمك الله وما يدري عمر بكم ؟ فقالت : يتولى أمرنا ثم يغفل عنا ؟ فأقبل عليّ فقال انطلق بنا .

فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق فأخرج عدلا من دقيق وكبة من شحم وقال احمله عليّ ! قلت أنا أحمله عنك . قال أنت تحمل وزري يوم القيامة ! لا أم لك ! فحملته عليه ، وانطلقت معه إليها نهرول ، فألقى ذلك عندها وأخرج من الدقيق شيئا فجعل يقول لها ذري عليّ وأنا أحر لكم وجعل ينفخ تحت القدر وكانت لحيته عظيمة فرأيت الدخان يخرج من خلالها حتى طبخ لهم ثم أنزلها وأفرغ الحريرة في صفحة وهو يقول أطعمهم وأنا أسطح لهم –أي أبرده– ولم يزل حتى شبعوا وهي تقول له جزاك الله خيرا كنت بهذا الأمر أولى من أمير المؤمنين "[1]

لوحة متكاملة الأجزاء فيها من الحركة والانتقال من مكان إلى آخر فيها الصوت يسمع من أطراف الحديث. فيها اللون ينبعث من لهب النار وضوئها، فيها الإحساس والشعور ينبثق من كل جنباتها وكل أصحابها فإحساس بالجوع من لدن أولئك الأطفال الضعاف الصغار وإحساس بالعجز و الخيبة والحرة والألم من قبل هذه الأم التي لا تملك أن تسد جوع أصحابها وشعور بالعطف والرحمة من جانب أمير المؤمنين .

---

[1] - عبقرية عمر ٣٢

هذا كله يجعل من هذه الصورة سبيلا سهلا لان تنقل من عالم الواقع إلى عالم الزيوت و اللوحات والريشة والألوان فتكون ناطقة بكل معاني العطف والرحمة والشفقة والحب .

نفس الإحساس تلقاه أثناء وصف حافظ إبراهيم لنفس الواقعة وذاك المشهد لم يقل أبدا مع اعتبارات أن الشعر مجاله أرحب وأوسع وأكثر تأثيرا في رسم المشاهد والصور إلا أن التأثير واحد ونفس إحساس القارئ وعاطفة تجاه المشهد والصورة .

فلا شك أن لهذه الحادثة روايات كثيرة إلا أن العقاد اختار من هذه الروايات تلك الرواية التي تنطق بالحدث وترسم الصورة بشكل متكامل يبعث على الإحساس بكل أطرافها وجوانبها وان كان اختياره لرواية عن أخرى ومشهد وصورة عن غيرها مثار جدل لدى بعض النقاد فقد اتهموه بقلة عنايته " بتحرير النصوص و الحوادث التي يرتكن إليها في رسم الخطوط الشخصية الأساسية قد تقود إلى أخطاء أساسية في تصويرها وينتهي إلى صورة مضللة أو محرفة "[1]

وقد كفانا العقاد الرد على هذا الزعم بقوله:" فلا اختراع في جملة أخبار عمر وان جاز الشك في بعضها أو جاز الشك في بعضها أو جاز إسقاط الكثير منها ومن شاء فليشك في هذا الخبر أو ذاك ما بدا له الشك ويسقط منها ما بدا له الإسقاط فسيبقى بع ذلك جميعه خبر يدل على رحمته ور سبيل إلى نقضه ... ويبقى ذلك التركيب العجيب الذي هو موضع الإعجاز وموضع الدهشة وموضع التساؤل في مصادر الأخبار "[2]

---

[1] - النقد الأدبي :وأصوله ومناهجه – سيد قطب ص٩٢

[2] - عبقرية عمر ص٤٩

الفصل الرابع
(الوزن والموسيقى)

**أولا: تحليل الوزن والموسيقى والإيقاع النغمى فى العمرية :

في القاهرة وفي أحد أحيائها الشعبية وأمام حشد من الجماهير وقف حافظ إبراهيم بمدرج وزارة المعارف يشدو بتلك المطولة التي تناول فيها حياة صحابي جليل ومعالجاً من خلال عرضه لسيرة حياته قضايا اجتماعية معاصرة وجد في حياة عمر، وفي الحديث عنه سلوى، وعزاء في تناولها وعرضها .

هذا المقام فرض على الشاعر نوعاً من الموسيقى له خصائصه وسماته التى يتميز بها فوقع أنغام مطولته على إيقاعات بحر البسيط التام " مستفعلن- فاعلن- مستفعلن- فعلن " في كل شطر فأتاح له البحر العروضي مساحة واسعة يتحدث فيها عما يشاء وكيفما يريد وأبسط أمامه الحدث بسطاً فتنوع وتقلب في سيرة حياة عمر الفاروق الحكيم العادل الرحيم الزاهد..الخ " فالبسيط يتيح مرونة الحركة بما يمنح من رخص تجعل الشاعر قادرا على الصياغة دون عناء كبير كما أن البسيط يلائم إيقاع الحياة التاريخية ، وأحداثهاالمطردة "[1] إيقاعات تتغلب فيها الحركات على السواكن (مَستفعلن) إنه إيقاع حياة يمر سريعاً في لحظات خاطفة كلها حركة ووثب ،وانتقال من مجال إلى آخر حياة شهيد كان في بداية أمره مشركاً عدواً لله وللمسلمين ثم سرعان ما تحركت بداخله مشاعر الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ودفعت به إلى حياة

[1] - القصائد الإسلامية الطوالفى العصر الحديث ص٩٣

الإيمان المحض فصار من أقوى المدافعين عن الإسلام ،والمسلمين وعبر عن قوته وقوة إيمانه بتحركه نحو الهجرة إلى المدينة ضارباً بكل مشاعر الخوف من بطش الكفار عرض الحائط متوعدا لمن يحاول منعه من الهجرة بالهلاك و القتل .

ويستمر إيقاع الحياة المغلف بالروحانيات يتخلله سكون النفس، وخلودها ،وهدوء المتأمل الفاهم العالم بمجريات الإمور من حوله هكذا كانت حياته مابين حركة وسكون وكلاهما يدور في فلك الإيمان العذب الطاهر وربما كانت تلك الحركات التي تتخلل الإيقاع الموسيقي تعبيراً صادقاً لمشاعر الشاعر دوماً تحوم وتدور وتتحرك نحو شخصية عمر بن الخطاب لما يمثله بالنسبة له من مثل أعلى وقدوة في العدل والإنصاف ورجاحة العقل ، والزهد ، والتقوى ، وتنفيذ شرع الله في رعيته وإحكام منهجه فيهم .

وبالتالي يعبر عن السكون أيضاً في إيقاعاته الموسيقية عن نفسه التي تقف عاجزة ساكنة أمام الواقع المعايش الذي لا حيلة له في تغيره نحو الأفضل ، والقضاء على ما فيه من أمور لا يرضى عنها الشاعر ولا غيره .

ولأن الشاعر يعتمد في التأثير بشعره على الإلقاء اعتماداً كبيرا فدفعه ذلك إلى الاهتمام باللفظة الموحية المؤثرة ذات الإيقاع الهامس أحياناً أخرى فاللفظة " تلعب دوراً هاماً في البناء الشعري عند حافظ بصورة عامة وفي العمرية بصفة خاصة ، وإذا عرفنا أن حافظاً يعتمد على الصياغة ذات الإيقاع الموسيقي المجلجل ، والذي يؤثر في أسماع الحاضرين . أدركنا أهمية اللفظة في العمرية التي ألقيت في حشد جماهيري تتناغم فيه هموم العمرية مع هموم الجمهور وتتفاعل وسط

ظروف سياسية واجتماعية بالغة السوء والتعقيد ، وأدركنا أيضاً أن حافظاً معنيّ بأن تسيطر اللفظة على الموقف الدرامي وتصنعه تماماً فهو يجعل من اللفظة بديلاً عن الصورة البيانية ، البسيطة و المركبة معاً ومن خلالها يحقق الموسيقى الداخلية و الخارجية للنص "[1]

يتضح ذلك عندما يعتمد الشاعر على حسن التقسيم في قصيدته فيضيف إليها نوعا خاصا من الموسيقى المؤثرة ذات الإيقاع المتناغم فعندما تحدث عن إسلام عمر وازن بين وقع هذا الحدث في حياة المسلمين قبل وبعد إسلامه فقال :

فأنت في زمن المختار منجدها ... وأنت في زمن الصديق منجيها

وقال أيضاً في حديثه عن خالد بن الوليد وشجاعته النادرة :

ما واقع الروم إلا فرّ قارحها ..... ولا رمى الفرس إلا طاش رامیها

وفيه قال أيضاً :

وخالدٌ في سبيل الله موقدها ..... وخالدٌ في سبيل الله صالیها

وعن أخلاق الفاروق تغنى قائلاً:

لا الكبير يسكنها ، لا الظلم يصحبها ..... لا الحقد يعرفها ، لا الحرص يغويها

وعن تلك الفتاة التي فزعت برؤية الفاروق وهي تغني بين يدي الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأبـــي بكر وصف حالتها بدقة متناهية :

قد كان حلم رسول الله يؤنسها ..... فجاء بطش أبي حفص يُخَشيها

---

[1] - القصائد الإسلامية الطوال ص٩١

ويغلف هذا الإيقاع الموسيقي المتجانس قافية تشبه الوزن العروضي فهي الهاء الممدودة يسبقها حرف المد بالياء فهي " قافية مفتوحة لكل كلمات المعجم أو معظمها وفي الوقت نفسه تتيح له إيقاعاً خارجياً يؤثر في حشد الجماهير المشدودة إليه وإلى شعره ، وتعينه على إطالة نفسه الشعري "[1]

والهاء حرف مهتوت مهموس ضعيف والمد قبله وبعده يزيده ضعفاً وليونة .وهذا الضعف وتلك الليونة مقصودة من الشاعر ليعبر بها تمام التعبير عن المفارقة الحاصلة بين حالين وحياتين، حال المسلمين في عهد دولتهم الأولى وكانوا يتميزون به من قوة وغلبة ، وحال يعبر عنها الواقع الأليم الذي يرثي فيه أمة كانت في يوم من الأيام من أقوى الأمم و أعلاها سلطاناً .

وحياة عمر بن الخطاب الحاكم العادل الزاهد الراشد وحياة حكام ليسوا على قدر المسئولية و الرعاية لأبناء أمتهم فصاروا مطمعاً لأعداء الإسلام يتربصون بهم الدوائر لينالوا من الإسلام وأهله .

هذاالإيقاع المتناغم المؤثر ما بين الوزن و القافية لا يمنع من وجود بعض العيوب التي تؤخذ على الشاعر والتي قد يعدها بعض النقاد عيبا من عيوب القافية وهو التضمين [2]

من هذا قول الشاعر أثناء حديثه عن مقتل عمر :

---

[1] - القصائد الإسلامية الطوال ص٩

[2] -التضمين :- تعليق قافية البيت بصدر البيت الذي بعده وهو نوعان : قبيح وجائز – أهدى سبيلي إلى علمي الخليل – محمود مصطفى ط.مطبعة محمد على – القاهرة ط. ٢٣ – ١٩٨٢ ص١٣٣

يا ليتهم سمعوا ما قاله عمر..... والروح قد بلغت منه تراقيها

لا تكثروا من مواليكم فإن لهم... مطامعاً بسمات الضعف تخفيها

وقال أيضا واصفا مشهد بيعة الصديق وموقف علي بن أبي طالب –رضي الله عنه – منه:

وقولة لعلي قالها عمر ..... أكرم بسامعها أعظم بملقيها

حرقت دارك لا أبقى عليك بها ..... إن لم تبايع وبنت المصطفى فيها

***ثانيا:عبقرية عمر من حيث الإيقاع النغمى والموسيقى الداخلية:

والجملة في النثر لها إيقاعاتها النغمة المؤثرة ولها دورها في خدمة المعنى ... والكاتب القدير يعرف كيف يسيطر على لغته سيطرة علم وإحساس والعقاد كاتب قدير يمتلك زمام اللغة ويضع كل لفظ في موقعه الصحيح فيؤدي باللفظة ما يريده من المعنى الذي يقصده ويسعى إليه .

وألفاظ العمرية تشبه العقاد ومن يتحدث عنه فإذا بها مميزة بين العبقريات بأنها أقواها لفظا وأصعبها في الفهم للمتخصص وغير المتخصص .

يضاف الى ذلك أن العقاد لم يحرم لغته في العبقرية العمرية من موسيقى داخلية وجرس يظهر من أن لآخر ليقوم بدوره في خدمة المعنى ولك أن تقرأ قوله في الحديث عن عمر بن الخطاب وأقوال الصحابة فيه :

" وقد تواترت أقوال الصحابة في عمر بما يشيد بفضله ويشهد بقدره ويكبر في أعين الناس أكبر –من تقال فيه – لأن الذين قالوها أناس لهم

حلوم راجحة ، وألسنة صادقة ، وعقيدة راسخة ، وقلوب لا تهاب أن تقول الحق في إنسان "[1]

قوله : { يشيد – يشهد – راجحة – صادقة –راسخة }

موسيقى مؤثرة بدورها في ظلال المعنى فعلى قدر رجاحة العقول تكون صدق الألسنة التي تنم عن عقيدة راسخة وثابتة ..

تلكم صحابة النبي –صلى الله عليه وسلم – تتوازن حلومهم ، وألسنتهم ، وعقيدتهم لأنهم كفوءٌ لذلك أولئك النجوم الذين نقتدي بهم .

ولك أيضا أن تقرأ قول الكاتب في رسم صورة مجملة للفاروق –رضي الله عنه –

"صحبناه في جاهليته وإسلامه ، وفي سره وعلانيته ، وفي بيته وحكومته ، وفي دينه وثقافته ، وفي اتصاله بالله واتصاله بالناس ، فإذا الصورة المجملة من جميع هذه الصور المختلفة صورة رجل عظيم من معدن العبقرية والامتياز بين الناس على اختلاف العصور وإذا هو صاحب مناقب وأخلاق من أنبل الصفات الإنسانية توافقت فيه على قوة نادرة وتلاقت فيه إلى غاية واحدة وهي إحقاق الحق وإدحاض الباطل ....." [2]

ألفاظ تنبعث منها موسيقى تشعرك بحط الرحال ونهاية الرحلة وقرب انتهاء المسير ،ولفظ الأنفاس الأخيرة بعد رحلة بحث وتثبت انتهت برسم صورة مجملة لأبي حفص –رضي الله عنه – .

لاشك أن أداة الموسيقى أمكن في يد حافظ إبراهيم وعمريته فالشعر أرحب مجالا في موسيقاه وأكثر تأثيرا من النثر يضاف إلى ذلك كله مما

---

[1] - عبقرية عمر ص١٤٦

[2] - عبقرية عمر ص٢٠٤

تمتع به حافظ من موهبة الإلقاء الشعري الذي جعلته أقدر على الإحساس بالموسيقى الشعرية التي صبّ فيها حديثه عن الفاروق – رضي الله عنه – إلا أن للعقاد أيضا إحساسه باللفظ وموسيقاه فأضاف إلى حديثه قيمة فوق قيمته وإحساساً فوق إحساسه .

(الخاتمة)

وبعدهذه الرحلة الشيقة والإبحار الممتع في القصيدة العمرية ،وبين أبياتها الرائعة ،وكذا بين سطور عبقرية عمر تبين أن الأفكار والمعانى التى طرحها الشاعر حافظ إبراهيم بداية من الحديث عن مشهد مقتل الفاروق ،ثم قصة إسلامه ،وما تحقق بذلك من عزة للإسلام ،والمسلمين ،واعتماده في ذلك على رواية هى الأشهر من بين الروايات ،ثم حديثه عن موقف الفاروق من البيعة للصديق بعد وفاة الرسول –صلى الله عليه وسلم –ودوره في توحيد الصف المسلم ،ثم بيان لبعض من جوانب الشخصية العمرية من خلال مواقفه مع بعض الشخصيات كموقفه مع جبلة بن الأيهم ذاك الرجل الذى أودى به غروره ،وجعله من الخاسرين ،وكذا حزمه مع أبي سفيان ،وخوفه على المسلمين من الفتنة بالقوة المتمثلة فى شخص خالد بن الوليد ،ومعاقبة عمرو بن العاص على دهائه ومكره ،ووصوله إلي قمة العدل ،والرحمة عندما لم يفرق ميزان عدله بين ابنه وغيره من الرعية ،وعمله لصالح المؤمنات بنفيه نصر بن الحجاج خارج المدينة ،ثم شهادة الأعداء له بالفضل والعدل على لسان رسول كسرى .

ثم بيان وتأكيد لبعض الصفات الخلقية فى الفاروق من الزهد والرحمة ،والقوة والهيبة ،وتراجعه أمام الحق والإذعان له،ومحاربته للبدع .

والأستاذ العقاد عندما تناول الشخصية العمرية معتمدا فى الحديث عنها على مجموعة من الأفكار المرتبة بشكل احترافي بداية من :عبقرى ،ورجل ممتاز ،وصفاته ،ومفتاح الشخصية الإسلامية .....

وقد بينت السبب وراء هذا العرض المركز من الكاتب لجوانب الشخصية العمرية ،فتبين من خلاله مدى توفيق وتفوق العقاد في عرض الترجمة الأدبية لحياة الفاروق – رضى الله عنه – وعليه يترتب الآتى:

(١) العقاد أكثر تفوقا فى عرض جوانب الأفكار التى اعتمد عليها في الترجمة ولعل هذا التفوق سببه أن النثر يعطى من المساحات الواسعة في العرض ،والمناقشة ،والسرد والتعرض لأكثر من رواية فى الحدث الواحد هذه المساحة لايمكن أبدا أن تعطى للشاعر مهما طالت قصيدته ،وتعددت أبياته .

(٢)العمرية من حيث الألفاظ والأساليب فقد سيطر الشاعر على لغته سيطرة علم وإحساس فكانت ألفاظه ناطقة بجوهر الحدث ،وكيف كانت هذه الألفاظ شاهدة على انبهار الشاعر بالحياة العمرية معبرة بصدق عن كل موقف حسب ما يقتضيه المقام ،وإن كان هذا لايمنع من مخالفة القياس النحوى أحيانا .

في حين كانت ألفاظ الأستاذ العقاد فى العبقرية قطعة من نفس صاحبها التى شابهت فى كثير منها ملامح الشخصية العمرية فالأسلوب هو الرجل كما يقولون .فكانت ألفاظ الأستاذ العقاد صورة لقوة الفاروق ،وهيبته ومن جهة أخرى صورة لقوة العقاد ،وحزمه ،وعزمه .

وإن استخدم بعض الألفاظ التى تتسم بالغرابة فى معناها وتحتاج الكشف عنها معجميا ،وإن كان هذا لايمنع من الشعور بحرارة الألفاظ إذا استلزم الموقف ذلك .

وألفاظ حافظ كانت أكثر ألفة ،ووضوحا من أختها لدى الأستاذ العقاد ،وأوفى فى تحقيق المطلوب ،ورسم صورة دقيقة للشخصية العمرية .

ولعل طابع الشاعرية والإحساس الملهم ساعده في ذلك كثيرا ،وجعله يتخطى ما وقف حجر عثرة أمام الأستاذ العقاد .

(٣)وفى الصور والأخيلة ملك الشاعر زمام التصوير ونوع مابين التصوير التشبيهى ،والاستعارى والكنائى مع إضافة بعض ألوان البديع الموحية بظلال الصورة ،وأبعادها .

أما الأستاذ العقاد فقد اعتمد التصوير عنده فى الغالب على ما ينقله من روايات بلفظها ،واعتماده فى النقل على بعض الروايات دون غيرها وإن كانت هذه الطريقة سببا فى توجيه النقد اللاذع للعقاد كما أوضحت .

(٤)لا شك أن الشاعر حافظ إبراهيم كانت لديه القدرة على التصوير ،واستنطاق المشهد ،وتلوين الظلال بالألوان الموحية المؤثرة .

وهو الأقدر كذلك من حيث الموسيقى والإيقاع النغمى فأداته الشاعرة تمكنه من ذلك تمكينا افتقده العقاد فى كثير من الأحيان ،وإن لم يعدمه تماما كما أوضحت من خلال البحث .

وبعد .....فأوصي الباحثين بمواصلة المسيرة فما زال هناك الكثير فى حياة عمر ،وغيره من الصحابة الكرام ،ولا زال هناك الأكثر فى حديث الشعراء ،والكتاب .

فالنظر في حياتهم –رضوان الله عليهم – من خلال الأعمال الأدبية ثراء لحياتهم ،وحياة النقاد كذلك ،وسوف نعدم الخير الكثير إذا بعدنا عن تراثنا الدينى والأدبى

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه تعالى وصلى اللهم وسلم على سيدنا محمد .

ثبت المصادر والمراجع

(١)القرآن الكريم

(٢) الأدب العربى المعاصر في مصر – شوقى ضيف –ط- دار المعارف- مصر ط١٢

(٣)استلهام الشخصيات الإسلامية فى الشعر العربى الحديث – محمد عبد الله منور – ط- مطابع الحميضى – الرياض –ط ١ – ١٤٢٨ – ٢٠٠٧

(٤)الأعلام- الزركلى –طبعة دار العلم للملايين – بيروت – لبنان

(٥)أهدى سبيل إلى علمى الخليل – محمود مصطفى – ط-مطبعة محمد على – القاهرة ط-٢٣- ١٩٨٢

(٦)التراجم الغيرية فى الأدب العربى الحديث – محمد أحمد العزب – ط-مطبعة الإيمان مصر – المنصورة

(٧)الترجمة الذاتية فى الأدب العربى الحديث – يحيى إبراهيم عبد الدايم –ط- دار إحياء التراث العربى – بيروت

(٨)تطور الشعر العربى فى العصر الحديث – حلمى القاعود –ط- دار النشر الدولى –ط١- ١٤٣١-٢٠١٠

(٩)ديوان حافظ إبراهيم – ط- دار صادر – بيروت –لبنان – ط- ١- ١٤٠٩-١٩٨٩

(١٠)سنن الترمذى – تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن – ط- مكتبة المعارف – الرياض

(١١)شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى – عباس العقاد – منشورات المكتبة العصرية بيروت

(١٢)صحيح البخارى – ط- دار ا بن كثير – دمشق – ١٤١٤- ١٩٩٣

(١٣)عبقرية عمر – عباس العقاد – ط- دار نهضة مصر – ط – ١٤- ٢٠١١

(١٤)الفاروق عمر بن الخطاب _ ثانى الخلفاء الراشدين – محمد رضا – ط- دار العلم للملايين – بيروت

(١٥)الفنون الأدبية وأعلامها فى النهضة العربية الحديثة – أنيس المقدسى – ط – دار العلم للملايين – بيروت

(١٦) القصائد الإسلامية الطوال فى العصر الحديث – قراءة ونصوص – حلمى القاعود –ط- دار الاعتصام – القاهرة

(١٧)المستقصى فى أمثال العرب – الزمخشرى – ط- دار الكتب العلمية – بيروت

(١٨)مصنف بن أبى شيبة الكوفى – تحقيق حمد بن عبد الله الجمعة – ط- الرشد

(١٩)مناهج البحث الأدبى بين القدامى والمحدثين – صابر عبد الدايم – محمد على داوود – ط- دار النشر الدولى – الرياض –ط-٥

٢٠)النقد الأدبى أصوله ومناهجه- _ سيد قطب – ط- دار الشروق – ١٤٠٢ – ١٩٨٣ ط ٥

٢١)النقد الأدبى الحديث بداياته وتطوراته – حلمى القاعود – ط- دار النشر الدولى –ط١ ١٤٣١- ٢٠١٠